الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بن احمد وهران-2-

كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع والانثروبولوجيا

محاضرات ميادين الأنثروبولوجيا

المقياس: ميادين الأنثروبولوجيا
التخصص: أنثروبولوجيا
المستوى: السنة الثانية ليسانس/ السداسي الثالث

اسم ولقب المؤلف: د.العقاق حفصة

السنة الجامعية:2023-2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بن احمد وهران-2-

كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع والانثروبولوجيا

محاضرات ميادين الأنثروبولوجيا

المقياس: ميادين الأنثروبولوجيا
التخصص: أنثروبولوجيا
المستوى: السنة الثانية ليسانس/ السداسي الثالث

اسم ولقب المؤلف: د.العقاق حفصة

السنة الجامعية:2023-2024

1. التعريف بالمادة:

عنوان الوحدة: وحدة تعليم أساسية.

اسم المادة: ميادين الانثروبولوجيا-1-

السّداسي: الثالث

وحدة التعليم: أساسية

الرصيد:05

المعامل:02

الحجم الساعي:45سا

طريقة التقييم: %60محاضرة+ %40أعمال موجهة.

1. تقديم المادة:

تعرّف مادّة "ميادين الانثروبولوجيا" الطالب بأهم الحقول ومختلف التخصصات التي تتفرّع اليها الأنثروبولوجيا وذلك على اعتبار أنّ الانثروبولوجيا كانت قبل أربعينيات القرن العشرين ذات طابع شمولي، فلطالما عرفت بذلك العلم الذّي يدرس الانسان في شموليته، الاّ أنّ كثافة المعلومات والمعطيات في هذا التخصص وتزايد عدد الباحثين فيه أدّى الى بروز متخصصين محترفين كلّ في مجال وحقل معيّن، وهذا ما جعل علم الانثروبولوجيا يوسّع ويكثّف من مجالاته، وتأتي مادّة "ميادين الانثروبولوجيا" لتكون دليل الطالب للتعرّف أوّلا على ميادين هذا العلم ثمّ لتوجيه قدراته وميوله البحثية نحو ميدان معيّن، يمكن أن يختاره مستقبلا كمجال للتخصص.

2. محتوى المادة:

تنقسم المادّة الى ست وحدات تعليمية، يتمّ التعامل مع كلّ وحدة تعليمية من خلال مجريات بيداغوجية تسمح باستيعاب المفاهيم والوصول الى الأهداف المسطرة مسبقا من خلال اختبار المكتسبات القبلية وتنمية مهارات الادراك والتحليل والتركيب مع مراعاة الكشف عن امكانية توظيف المعارف على أرض الواقع، وذلك لما يقتضيه تخصص الأنثروبولوجيا بضرورة العمل الميداني. ويأتي ترتيب الوحدات التعليمية من البساطة الى التعقيد فالوحدات الأولى تعكف الى اعطاء الطالب لمحة عامة حول الانثروبولوجيا وكذا المفاهيم المرتبطة بها ثمّ تنعرج نحو تعريفه بالميادين الكبرى لهذا التخصص وأهمّها: الانثروبولوجيا الفيزيقية، الانثروبولوجيا الاجتماعية، الانثروبولوجيا الثقافية، ثمّ بالميادين الثانوية ومن ضمنها: أنثروبولوجيا الدّين، أنثروبولوجيا القرابة، أنثروبولوجيا الاتصال والتي تعتبر من أحدث الميادين.

1. مقدمة:

تندرج هذه المحاضرات في نطاق مقياس "ميادين الأنثروبولوجيا -1-" الموجّه لطلبة السنة الثانية ليسانس تخصص أنثروبولوجيا ضمن السّداسي الثالث، والهدف من هذه المحاضرات تعريف الطالب بشتى فروع وميادين الانثروبولوجيا اضافة الى تنويره بأهمّ الدراسات الميدانية التي اشتغل عليها روّاد الانثروبولوجيا الأوائل والمعاصرين كلّ على حسب حقل دراسته و الجماعة التي اختارها أن تشكل ميدانا لبحثه، فالمادّة تزوّد الطالب بالقاعدة النظرية التي تستند عليها كلّ دراسة ميدانية، ليتمكن في الأخير من أن يموقع أي بحث ميداني يقوم به مستقبلا ضمن ميدانه الخاص به و ضمن النظرية التي يراها الأنسب لتحليلاته وتأويلاته حين يصبح باحثا متمرّسا في حقل ما من حقول الأنثروبولوجيا.

ولا يمكن أن نتطرق الى ميادين الأنثروبولوجيا بدون الكشف و التعرّف على مختلف المفاهيم والمصطلحات الاساسيّة والضرورية لممارسة العمل الانثروبولوجي و التي تمثّل هويّة هذا العلم، ولعلّ مفهوم الثقافة من أقدمها ومن أكثرها جدلا بما أنّ المفهوم بحدّ ذاته يعتبر موضوعا لعلم الانثروبولوجيا، فلا يمكن ان ندرس الانسان بدون ان نتناول الثقافة باعتبارها الخاصية التي ينفرد بها العنصر البشري وهي ما يشكّل وحدته وتشابهه، و لكن هذا القاسم المشترك سرعان ما أصبح عاملا للتمييز بكلّ أنواعه عندما تعرّف الانسان على "الآخر" فلم يجد أنه يشبهه الاّ في بعض التفاصيل الطفيفة التي تكاد لا تذكر، وهنا تدخّل التفكير الأنثروبولوجي في نهاية القرن التاسع عشر الى بداية خمسينات القرن العشرين، والذي تزامن مع الحملات الاستكشافية ثمّ العسكرية التي شنتها أوروبا على باقي

العالم في كل من افريقيا وآسيا الشرقية، فظهر" الانسان الآخر" غير الأوروبي الذي يحمل الصفات الفيزيقية و العناصر الثقافية المختلفة عمّا عهد رجل أوروبا أن يراه.

فعكف تارة يدرس الاختلاف البيولوجي وتارة الاجتماعي وتارة اخرى الثقافي لما أسماه بالمجتمعات "البدائية"، فظلت الأنثروبولوجيا حتى بداية الحرب العالمية الثانية مكرّسة بالكامل لدراسة الشعوب "بدون كتابة" واحتضنت المجتمعات "المنعزلة" و"الجامدة"، وهذا ما أعطى صبغة المقارنة لهذا العلم.

فخلقت المدرسة البريطانية الأنثروبولوجيا الاجتماعية والتي كان فيها التركيز منصبّا على دراسة البنى والنظم الاجتماعية ووظيفتها في تحقيق حاجيات الأفراد، ودور المؤسسات في المجتمع وعملها على التوازن الاجتماعي.

فيما انصب اهتمام المدرسة الأمريكية على الجوانب الثقافية على اعتبار أن القارّة كانت تهلّ بالشعوب الأمريكية المحلية والمتمثلة في الهنود الحمر، فاعتبرتها مواضيع أنثروبولوجية بامتياز.

انّ التنوع الحاصل في حقول وزوايا البحث في هذا العلم الغائر وعلاقته مع باقي العلوم، يجعل من دارسه باحثا مطلعا على علوم شتى نذكر من ضمنها: علم الاجتماع، علم النفس، البيولوجيا، الكيمياء، علم الآثار، علم التاريخ.... الى غيرها من العلوم المساعدة لتحصيل هذا التخصص.

وتساهم المادّة التي بين أيدينا في الكشف عن العلاقة الكامنة لعلم الأنثروبولوجيا مع العلوم المذكورة سلفا، اذ يتمكن الطالب عند تحصيلها من الاطلاع على مختلف العلوم التي كانت تبدو واهية العلاقة مع الانثروبولوجيا.

ليدرك في الاخير بأهميّة العلوم جميعا في محاولة فهم "الانسان" الذي يعتبر الكائن الأكثر تعقيدا.

وللإلمام بكلّ هذا تتناول المطبوعة ثمانية محاضرات في مادّة ميادين الأنثروبولوجيا، تحتوي كلّ محاضرة على العديد من المحاور بحيث عنونّا المحاضرة الأولى ب: مدخل عام الى الانثروبولوجيا، وتتناول المحاضرة الثانية، علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى، وتتطرّق المحاضرة الثالثة الى المنهج الاثنوغرافي في الأنثروبولوجيا، وتتناول المحاضرة الرابعة ميدان الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة، أمّا المحاضرة الخامسة فعنوانها الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة، وتختصّ المحاضرة السّادسة بالأنثروبولوجيا الثقافيّة، فيما تتناول المحاضرة السّابعة ميدان أنثروبولوجيا الدّين، و أخيرا تتطرّق المحاضرة السّابعة الى أنثروبولوجيا القرابة.

I. المحاضرة الاولى: مدخل الى علم الانثروبولوجيا

1. تمهيد:

اشتقت تسمية علم الأنثروبولوجيا من الأصل اللّغوي اليوناني، وهي تتكون من كلمتين Anthropos وتعني انسان وLogos وتعني علم وعند جمع الكلمتين تصبح الدّلالة واضحة، علم الانسان أو دراسة الانسان من جميع النّواحي الفيزيقيّة والاجتماعية والثقافية.

فالانثروبولوجيا تركّز على الظواهر الانثروبولوجية التي تخصّ الانسان دون الحيوان من: لغة، عادات، تقاليد، دين، اعتقادات، سياسة، فن وقرابة ...، كما يعتمد علم الأنثروبولوجيا على المقاربة المقارنة لمختلف المجتمعات والاثنيات.[1]

كما اعتبرت الأنثروبولوجيا لمدّة طويلة علم يدرس المجتمعات " البدائية"،" المتوحشة"،" التقليدية" باعتبارها مجتمعات بدون تاريخ وبدون كتابة، بدون سلطة وبدون تكنولوجيا وذلك بهدف تفريقها عن المجتمعات الغربية.

2. موضوع الانثروبولوجيا:

لكي نحدّد موضوع الانثروبولوجيا علينا التساؤل اولا أين يبدأ الفهم الانثروبولوجي؟ فنقول بانّه يبدا عندما تلتقي جماعة ما بجماعة اخرى وتبدأ احدى الجماعتين بمساءلة الأخرى، لماذا اتيتم الى هنا؟ كيف تعيشون؟ بماذا تؤمنون؟ كيف تأكلون؟ هذا ما يجعل كلتا الجماعتين تفكران في خصائصها الذاتية وخصائص غيرها، فتضع نفسها ضمن منطق

[1] عيسى شماس، مدخل الى علم الانسان، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2004، دمشق، ص13.

المقارنة بين مختلف الثقافات، ما هو مشترك وما الذي يجمع الصنف الانساني وفيما تكمن الاختلافات، لذلك أطلق الانثروبولوجيkluckhonn Klyde كلايد كلوكوهن "1944" على الانثروبولوجيا علم التشابه والاختلاف بين البشر.

فموضوع الأنثروبولوجيا يتركّز حول الانسان من ثلاث نواحي أساسية:

- **البيولوجية: والتي تدرس الانسان من الناحية البيولوجية وقد تستعين هذه المادّة بالحفريات والدراسات الجيولوجية لكشف أصول الانسان وتطوره عبر الزمن.[2] وتشمل مواضيع ذات الصلة بفيزيولوجيا التطور، دراسة التباين والتطور البيولوجي البشري، الطرق الفيزيولوجية التي يتفاعل من خلالها البشر مع بيئاتهم، الصحة البيئيّة، صحة الانسان والمرض، المفاهيم الطبية السائدة...**

- **الاجتماعية: المؤسسات الاجتماعية، الكائن البشري من حيث هو فرد في مجتمع، العلاقات الاجتماعية، التفاعلات الاجتماعية.**

- **الثقافية: العادات، التقاليد، الممارسات، الطقوس، الدّين، اللغة، الفن....**

الاّ ان دراسة هذه الميادين والجوانب الانسانية كانت في بدايات الانثروبولوجيا لصيقة بالمجتمعات "البدائية"، فقد كانت بالنسبة للتطوريين تتبع تاريخ البشرية اما علماء آخرون مثل فرانز بواسFranz boas فلم يكونوا يهتمون بإعادة بناء

[2] عاطف وصيفي، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ط3 1981، دار النهضة العربية، بيروت، ص13.

مراحل التقدم البشري ولكن كان يهمهم مثل غيرهم بجمع كلّ ما تبقى من الماضي غير الغربي وادّى ذلك الى تقديم الهنود الحمر في امريكا الشمالية لمدّة 50 عاما كأشخاص بدائيين لم يشاركوا في التاريخ.

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية اتخذت الانثروبولوجيا منحى آخر مكّنها من قفزة نوعية تخطت من خلالها المقاربة الاثنية المركزية و ذلك راجع كذلك الى أن حملة الاستعمارات التي تعرضت لها كل من افريقيا والهند وآسيا و أمريكا اللاّتينية من طرف القطب الانجلوسكسوني و أوروبا، قد بدأت تتلاشى و تنحصر بعد أن قرّرت هذه الشعوب مصيرها ابتداء من ستينات القرن العشرين، وبهذا انفصلت الانثروبولوجيا عن علم التاريخ فلم تعد تختص بالدراسات التعاقبيةdiachronique فقط و انما ظهر فريق من الانثروبولوجيين الذين اهتموا بدراسة المجتمعات في الوقت الحاضر مستعملين المقاربة أو المقاربة التزامنيّة synchronique والتأكيد على الأبحاث الميدانية الطويلة، اما في فرنسا فيعود الفضل لكل من ليفي ستروسstrauss C.Levi وجورج بالونديهG.Balandier في التحرّر من الفكرة القائلة بأنّ الانثروبولوجيا تدرس المجتمعات "البدائية" فقد دافع بالونديه بشدة عن الشعوب المحتلة ولجأ الى دراسة التغيرات الاجتماعية الطارئة على افريقيا بعد الاستقلال، أما ستروس فقد أصبحت الانثروبولوجيا تعني بفضله دراسة ومقارنة الانسان الشامل في المجتمع،وبهذا أصبح موضوع الانثروبولوجيا أشمل من ان يختص بدراسة أصول الجماعات "البدائية" ليكشف

الاختلاف و انّما اصبح علما يغوص في غمار المجتمعات الحديثة لمحاولة الفهم الشامل للإنسان في كل زمان ومكان و يكشف لنا عن الثابت و المتغير عبر الأزمنة وهذا أضفى صفة الديناميكية عليه.

3. الهدف من دراسة علم الانثروبولوجيا:

انّ الدارس لعلم الأنثروبولوجيا سوف يكتسب لا محالة مجموعة من الصّفات تأهله لأن ينظر الى الاختلافات البشرية بمنظور مغاير، فلا يمكن لمن يغوص في هذا العلم الاّ أن يحترم الاختلاف الثقافي و ينظر اليه نظرة القبول والسلام مع الآخر، والدارس للأنثروبولوجيا و في رحلته للبحث عن الآخر يجد ذاته، فمعرفتنا للخصوصيات الثقافية المختلفة عنا يجعلنا نعرف ذواتنا و خصوصياتنا و نحترمها أكثر و نتصالح مع أنفسنا ونقدّر ثقافاتنا المحلية و نمجّدها لأنّ من خلالها نعرف بأنّنا متميّزون، لذلك لطالما نجد بانّ المتخصصين في هذا المجال يدعون الى المحافظة على التراث وحمايته من الضياع لانّ هو من يصنع الفارق بين الشّعوب، فالمنظور المقارن الذي تجلبه لنا الانثروبولوجيا هو بمثابة انعكاس لثقافتنا المحليّة.

ومن بين أهمّ الامور التي تفيدنا بها الانثروبولوجيا هي انّها توفّر اساسا علميا للتعامل مع المعضلة الجوهرية في عالم اليوم والمتمثلة في كيف يمكن للأشخاص ذوي المظهر واللغة والثقافة وطرق العيش المتباينة أن تتعايش بسلام؟ فالأنثروبولوجيا من بين أكثر المجالات انسانية بسبب احترامها للتنوع البشري.

4. أين نجد علم الانثروبولوجيا؟

انّ ما التصق بعلم الانثروبولوجيا من دراسة الشعوب "البدائية " جعل الدارس فيها لطالما يتساءل حول ميادين تواجد الأنثروبولوجي وماهي حقول بحثه و اين يمكن ان يتواجد؟ فالانثروبولوجي يتواجد في كلّ مكان ويمكن أن يجعل من كلّ مجال ميدانا لبحثه شرط التقيّد بالمنهج الأنثروبولوجي الصارم والتحكم في التقنيات المختلفة لجمع المعطيات فيذكر كوفمان Gauffman في هذا الصدد "بأنّه لا يوجد موضوع جيد وموضوع سيئ، يمكن أن تجعل من المقهى الذي تجلس فيه كلّ يوم موضوعا لك".

ونقدّم في هذا الصدد نماذج من بعض الميادين والفضاءات التي يتواجد فيها الانثروبولوجي ويمكن ان تكون حقلا خصبا لدراساته:

يمكن ان يتواجد الباحث في الانثروبولوجيا في مخبر في محاولة له لإعطاء تفسير وتأويل لبعض الآثار التي خلفتها جماعات سابقة او في مخيمات اللاجئين لملاحظة السلوكات والممارسات، في دور المكتبات و المخطوطات و المتاحف من أجل فك رموز اللّغات ومختلف مظاهر التعبير، في المعابد و المساجد لدراسة الظاهرة الدّينية، في مراكز التسوق لرصد سلوكات الاستهلاك و ثقافة المستهلك، يمكن أن يتواجد كذلك في غرفة المعيشة و المطبخ لملاحظة الممارسات التي تبدو عادية في الحياة

اليومية و أنماط العيش، كما نجده أيضا في مو اقع التواصل الاجتماعي لرصد وملاحظة التعليقات والمنشورات والممارسات و الهويات مثلا، وفي المؤسسات الاقتصادية ومجالس الادارة لرصد مختلف القرارات والممارسات داخل المؤسسات، كما تعتبر شوارع المدن ميدانا أنثروبولوجيا بامتياز فيمكن للباحث في الانثروبولوجيا أن يتجول في قلب المدينة و يرصد مختلف المظاهر الحضرية فيها.

5. النهج الانثروبولوجي:

انّ السمة المميّزة للأنثروبولوجيا هي اكتشاف الفروقات والتشابهات البشرية، وتجمع الأنثروبولوجيا بين مناهج العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة من بينها: المنهج التاريخي، المنهج المقارن، المنهج الاحصائي، المنهج التحليلي، المنهج الوثائقي.... والطريقة التي تميّزها هي المنهج الاثنوغرافي وتعتبر العمليّة النّوعية لاكتشاف الثقافة البشريّة ومختلف أشكال التعبير في السّياق وتستخدم هذه الطريقة تقنيات مختلفة لجمع البيانات من بينها: ملاحظة المشاركين، المقابلات، بيوغر افيا الأشخاص، مجموعات التركيز، تحليل النصوص المكتوبة والمرئيّة. انّ مناهج وتقنيات الانثروبولوجيا تعلّمنا الكثير حول مجتمعاتنا، بحيث تظهر جدّ فحيثما يوجد فارق بين النص والفعل أو الكلام والفعل وكذلك تمكّننا التقنيات الأنثروبولوجية من اكتشاف بعض الأمكنة و الجماعات المنغلقة على نفسها، ففي بعض الدّراسات لا يمكن لتقنيات علم الاجتماع أو الاقتصاد أن تعوّض تقنية الملاحظة بالمشاركة التي تختص بها الأنثروبولوجيا، فحيثما لا توجد وثائق يأتي

العمل الميداني للأنثروبولوجيا لجمع العادات الشفهية وتقاسم الحياة اليومية للأفراد، وخاصة اذا كانت هناك فجوة بين القول والفعل وبين الخطاب والممارسة فهنا تظهر قدرة الأنثروبولوجيا خاصة في المجتمعات الحديثة للكشف عن الجوانب الخفية لما هو غير رسمي ولا يظهر بوضوح.

ولا يمكن التطرق الى المنهج الأنثروبولوجي دون الاشارة الى الصرامة المنهجية والمعرفية التي يجب توفرها في الباحث الانثروبولوجي، فسواء تعلق ميدان الدراسة بالمجتمع المحلي او بمجتمع مغاير عن ثقافة الباحث فانّ مسألة التباعد الثقافي بالنسبة للأخر ضرورية وهذا لتجنب اصدار أحكام قيمية ويعتبر التباعد الذي يحدثه الباحث مع ثقافته الخاصّة أمرا مهمّا وهذا للوصول الى الفهم الجيّد للثقافة المدروسة، فما يمكن أن يبدو اعتياديا للباحث يجب أن يظهر غريبا و ما يمكن أن يكون غريبا ينتمي الى ثقافات أخرى يجب أن يظهر اعتياديا للباحث الأنثروبولوجي وذلك لتجنّب عنصري التجاهل و المفاجأة اللّتان تعتبران من أكثر العوائق التي تمنع الباحث أحيانا من تسجيل الحقائق، وتساعده هذه المقاربة في أن ينظر الى الظواهر الأنثروبولوجية نظرة نسبية لا يمكن أن تنحاز لأي ثقافة أو تحتقر أخرى مهما كانت درجة غرابتها.

وبعد هذه العمليّة الشّاقة ينغمس علماء الانثروبولوجيا في مجموع البيانات النوعية الغنيّة التي تنتج عن أبحاثهم ويقومون بتحليلها وتأويلها لاستخلاص المعلومات حول البيانات المجمّعة. عادة ما يستعمل الباحث في النّهج الانثروبولوجي أساليب نوعيّة متعدّدة لجمع البيانات، ولكنّه يحتاج أحيانا الى بيانات كميّة

مكمّلة.

II. المحاضرة الثانية: علاقة علم الانثروبولوجيا بالعلوم الاخرى.

1. تمهيد:

غالبا ما يفاجئ الطلبة باتساع نطاق الانثروبولوجيا، فهو علم مقارن وشامل بشكل فريد فهو يدرس الحالة الانسانية برمتها: الماضي والحاضر والمستقبل.

وباعتبارها فرعا علميا و انسانيا في الوقت ذاته، فانّ الانثروبولوجيا لها رو ابط مع العديد المجالات العلمية الأكاديمية، فباعتبارها علما انسانيا فهي تستعين بالتاريخ والفن والفلسفة الى جانب الموسيقى واللغة والعروض وغيرها من أشكال التعبير.

فتاريخ الحفريات والمصنوعات اليدوية جاءت الى الانثروبولوجيا من خلال الاستعانة بالعلوم البحتة مثل الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا.

كما قد يتعاون علماء الانثروبولوجيا مع علماء النبات والحيوان للكشف عن بعض بقايا ومخلفات ثقافات قديمة.

كما نجد أنّ علم الاجتماع أخذ الكثير من المنهج الانثروبولوجي في محاولة فهم الظاهرة السوسيولوجية وخاصة من الانثروبولووجيا التأويلية لغيرتزGeertz فأصبح يتعامل مع مختلف الظواهر بأنّها نصوص وخطابات يجب فكّ معناها، كما يستعين المؤرخ بالمنهج الانثروبولوجي من أجل وضع النصوص والاحداث التاريخية الماضية في

سياقها الثقافي والاجتماعي. وفيما يلي سوف نسرد بعض نماذج ارتباط الانثروبولوجيا بالعلوم الاخرى وسوف نركّز على العلوم الاجتماعية والانسانية وذلك لطبيعة تخصص طالب الانثروبولوجيا الذي ينتمي تكوينه الجامعي الى العلوم الاجتماعية:

- **علاقة الانثروبولوجيا بعلم الاجتماع:**

تشترك كل من الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع في الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية والتنظيم والسّلوك، هذا بالرغم من أنّ بدايات الانثروبولوجيا لم تكن تشبه بتاتا بدايات علم الاجتماع، فكلّ منهما اختصّ بنوع معيّن بالمجتمعات فلقد انصب اهتمام هذا الاخير على المجتمعات الصّناعيّة الحديثة فيما فضلت ان تجعل من المجتمعات "القديمة" موضوعا لها ومن ثمّ ظهرت طرق متنوّعة لجلب المعطيات وتحليلها، فاعتمد علم الاجتماع على الاستمارات والاستبيانات والتحليل الكمّي للنتائج من خلال أخذ العينات الاحصائية، في حين اعتمدت الانثروبولوجيا بشكل متزايد على المنهج الكيفي وفهم وتأويل النتائج باستعمال التقنية الاثنوغرافية في دراسة الجماعات البسيطة وبدون كتابة من خلال الملاحظة والتسجيل والمشاركة في الحياة اليومية لهذه الشعوب مع التركيز على التفاصيل الوصفية.

ولكن مع تزايد الاحتكاك والتداخل بين العلوم عرفت كل من الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع التقارب في المواضيع والمناهج، فأصبح علم الاجتماع هو الآخر يختص بالمجموعات الصغيرة والجماعات "المنعزلة" كما عمل العديد من

الانثروبولوجيين على دراسة المجتمعات الصّناعية وزوال النظم الزراعية والمناطق الريفية، والحياة العامة في المدينة وكذا وسائل الاعلام والثقافة المحلية.

كما اهتمت كل من السوسيولوجيا والانثروبولوجيا بالاثنيات والاعراق والطبقات الاجتماعية والجندروالثقافة الشعبية في المجتمعات الحديثة.

3. علاقة الانثروبولوجيا بعلم التاريخ:

اذا كان مفهوم ما بين التخصصات قد وجد مكانة له لدى المؤرّخين في السنوات الاخيرة، فليس هناك أحسن من التقاء الانثروبولوجيا مع التاريخ الى درجة ظهور معرفة تاريخية جديدة منذ ثلاثينات القرن العشرين وسميت ب "الانثروبولوجيا التاريخيّة"، فقبل ذلك كان علم التاريخ في القرن التاسع عشر ينعت ب "التاريخانية" في انتاجاته بحيث كان يحمل في طياته تلك الهوة الكبيرة بين تاريخ شعوب الحضارة الغربية والشعوب المسماة" بدائية"، وقد حدثت هوّة ثقافية بين "الثقافة المعرفية" و "الثقافة الشعبوية" و هذا ماخلق "التاريخ النبيل" الذي يتمثل في التاريخ السياسي (الأحداث الديبلوماسية و العسكرية) وبين الفولكلورالذي يمثل روح الشعب.

ولكن في النصف الثاني من القرن العشرين بدأ علم التاريخ يقترن بالعلوم الاجتماعية من علم الاجتماع و اقتصاد و ديمغر افيا وكذا اللّسانيات والتحليل النفسي هذا ما أدّى الى اعادة النظر في الهيمنة التاريخانية وخاصة مع ظهور مدرسة الحوليات سنة 1929 من

طرف مارك بلوخ و لوسيان فابر[3] وبذلك تحرّر التاريخ من المواضيع السياسية ليهتم بالاشكاليات الثقافية، فلقد فتح المؤرخين المختصين في الانثروبولوجيا التاريخية حقولا متجددة للبحث كانت أساسا مواضيع أنثروبولوجية قديمة مثل: القرابة فاستعانت ببنيوية ليفي ستروس "البنى الأولية للقرابة" وهنا تظهر مساهمة جاك قودي Goody Jack في كتابه:1985

"L'evolution de la famille et du mariage en Europe"

بحيث ألقى الضوء على قواعد القرابة وتأثيرها على الجانب الاجتماعي كما درس الترابط والانحدار السلالي وأهمية القرابة الرّوحية في المجتمع المسيحي للعصر الوسيط، العلاقات الجنسية المسموحة والممنوعة.

وبهذا نستطيع القول بأنّ المؤرخين تجاوزوا المفهوم الضيق للقرابة الذّي يتجاوز التاريخ الدّيمغرافي الى تاريخ القرابة متعدّد الابعاد، كما استفاد علم التاريخ من المقاربة الانثروبولوجية في الاخذ بعين الاعتبار السياق الاجتماعي والثقافي لتاريخ الأفراد او الأحداث.

4. علاقة علم الانثروبولوجيا بعلم النفس:

يقوم علماء النفس مثل غيرهم من المتخصّصين في الحقول الاجتماعية باجراء أبحاثهم في مجتمعاتهم، فالنتائج المتحصل عليها أكيد انها تختص بمجتمع واحد، اما عند اقترانها بعلم الانثروبولوجيا فيوفر هذا الاخير مجموعة من البيانات عبر الثقافات والشعوب

[3] Gagné,Natacha, Anthropologie et histoire,in ANTHROPEN,université Laval,2017,canada,p2

المختلفة، وفي هذا الصدد ولد مجال الانثروبولوجيا الثقافية المعروف بالانثروبولوجيا النفسية او مدرسة الثقافة والشخصية و الذي تركّز حول دراسة الاختلاف في السّمات النفسية وخصائص الشخصية بين الثقافات، بحيث حاولت مارغريت ميدMargeret Mead في دراساتها لسنوات 1928-1930 من اظهار انّ السّمات النفسية تختلف اختلافا كبيرا بين الثقافات، تغرس المجتمعات قيما مختلفة من خلال تنشئة الاطفال بطرق مختلفة وتنعكس شخصيات البالغين على تنشئة الأطفال في كلّ ثقافة فهناك اختلاف للثقافات حسب طبيعة ونوعية المجتمع، فكلّ مجتمع يؤثر في افراده حسب النموذج الذّي يلائمه.[4]

كما يعتبر برونيسلاف مالينوفسكيB.Malinowski كذلك من الأوائل المساهمين في دراسة علم النفس عبر الثقافات، بحيث أجرى دراسته الشهيرة عند سكان تروبرياند في جنوب المحيط الهادي فوجد بأنّ سكان هذه الجزر ينحدون عبر قرابة نسب الأم ويعتبرون أنفسهم مرتبطين بالأم و أقاربها وليس بالأب بل الخال وهو من يقوم بتربية ابن أخته، لذلك يكنّ سكان التروبرياند الاحترام للخال و تكون العلاقة بينهما باردة وعلى النقيض من ذلك فانّ العلاقة بين الأب و الابن تكون ودية أكثر، وبهذه الدراسة فلقد عارض مالينوفسكي دراسة سيغموند فرويد الشهيرة والعالمية حول عقدة اوديب فوفقا لفرويد فانّ الاولاد ينجذبون في سنّ الخامسة جنسيا الى أمهاتهم ويتم التخلص من العقدة عندما يتخلص الطفل من غيرته من أبيه، ولكن نظرية فرويد عرفت حدودها في جزر التروبرياند فلقد خلص مالينوفسكي الى أنّ هيكل السلطة يؤثر في العلاقة بين الابن والأب أكثر من تأثير

[4] عيسى الشماس، نفس المرجع السابق، ص50.

الغيرة الجنسية.

وبهذا يكون مالينوفسكي قد أثبت بأنّ علم النفس الفردي لايمكن دراسته بمعزل عن السياق الثقافي.

فعلى مرّ السنين وتطور التخصّصات والتحولات التي عرفها العالم منذ الحداثة من تحضّر وتصنيع وهجرة وعولمة تقاربت المجالات العلمية واستعارت التخصّصات من بعضها البعض لدراسة الشعوب والثقافات من زوايا متعدّدة وشاملة.

III. المحاضرة الثالثة : المنهج الاثنوغرافي في الانثروبولوجيا:

1. تمهيد:

ينقسم مصطلح الاثوغرافيا الى قسمين ethno وتعني مجموعة عرقية أو اثنية وgraphie وتعني وصف أو دراسة، ولقد عرّفها قاموس علم الاجتماع Le Robert Seuil بأنها الدّراسة الوصفية لمختلف المجموعات البشرية العرقية وخصائصها الانثروبولوجية والاجتماعية.

عمل علماء الانثروبولوجيا الاوائل على دراسات الجماعات والمجتمعات البعيدة " الامريكية الأصلية"، فسافروا اليها بحثا عن نمط عيش وثقافة هذه المجموعات الصغيرة الى نعتوها بانّها الاقرب الى الطبيعة، وكان يطلق على الدّراسة المباشرة لهذه الاماكن المحلية باسم الاثنوغرافيا، فلقد عاش علماء الاثنوغرافيا الاوائل في مجتمعات صغيرة ومعزولة نسبيّا، وهكذا برزت الاثنوغرافيا كمنهج بحث خاص بهذه الجماعات ابتداءا من سنة 1880[5] بحيث حاول الباحثين استعمال الوصف والسرد الدّقيق لهذه الثقافات وفي ذلك فهم يعتمدون على مجموعة متنوعة من التقنيات لتجميع معلومات حول أنماط العيش والحياة المختلفة لهؤلاء.

2. تقنيات المنهج الاثنوغرافي:

[5] شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا (انتجليزي، عربي)، ط1 1981، ص29.

- **الملاحظة المباشرة: للسلوك اليومي بما فيها الملاحظة بالمشاركة.**

- **المحادثة أو المقابلة: وتشمل الدردشة اليومية التي تساعد على الحفاظ على العلاقات وتوفّر المعرفة حول ما سوف يجري في المحادثات المطولة الى المقابلات المعمقة التي يتكشف عن المعاني التي يعطيها الافراد لممارساتهم.**

- **سير الحياة: من أجل الكشف عن تطوّر بعض الممارسات.**

- **الاستعانة بمخبرين: المطلعين على مجال وميدان الدّراسة لاجل ترجمة اللّغة المحلية أو تأويل بعض الممارسات والتصورات والمعتقدات المحلية.**

3. الارهاصات الأولى للدراسات الاثنوغرافية:

يعتبر مصطلح الاثنوغرافيا قديما بعض الشيء، وتعود أصوله الى القرن 19م فمن سواء تعلّق الأمر بفرنسا او بانجلترا فانّ من كانوا يدعون أنفسهم بالاثنوغرافيين هم مجموعة من الباحثين الذين كانوا يقدّمون تقاريرهم الاثنوغرافية وهم وراء مكاتب منازلهم او مؤسساتهم الجامعيّة او البحثية، مستخدمين في ذلك تقارير الرحّالة أو المخبرين أو التجار الذين كانوا ينتقلون الى مختلف القارات.

أما القفزة النوعية لهذا التخصص فكانت مع البولندي الذي درس في انجلترا برونيسلاو مالينوفسكي Bronislaw Malinowski الذي قضى مابين سنوات 1914-1918 عدّة أيام في العديد من جزر غينيا الجديدة وخاصة في جزيرة التروبرياند

Trobriand وألّف دراسته الشهيرة المعنونة ب Les argonautes du pacifique occidental،وبالرّغم من أنّه قد سبقه في الدّراسات الميدانية كلّ من بواس Boas في دراسته ل "اسكيمو" كندا سنة 1883وراد كليف براون R..Brown "للاندمان" سنوات 1906-1908 وريفرز Rivers"جزيرة الصالومون" Salomon سنة 1908،ولكنّ مالينوفسكي أكّد على الحاجة الى الملاحظة المستمرة و المباشرة و الدّائمة التي تمثل موضوع الدّراسة الاثنوغر افية، فعلى عالم الاثنوغر افيا أن يبقى على اتّصال دائم مع السّكان الأصليين قدر الامكان.[6]

وتعتبر الاثنوغر افيا في الوقت المعاصر علما وفنّا في الوقت ذاته فهو يتطلّب اتقان النظر ومعرفة العيش مع الآخر ومع الأنا ومعرفة الكتابة للآخرين غير الذين درسناهم، ففنّ الملاحظة والعيش والكتابة هي ثلاث ملكات على عالم الاثنوغر افيا كتابتها.

4. الفرق بين الاثنوغرافيا، الاثنولوجيا والانثروبولوجيا:

تشير الاثنوغر افيا كما ذكرنا سابقا الى وصف وكتابة ونقل البيانات الخام من الميدان، وهي المرحلة الأولى لأي بحث اثنولوجي وبالتالي فانّ الاثنوغر افيا والاثنولوجيا والانثروبولوجيا هي مراحل منهجيّة لتخصّص واحد، أولا: الملاحظة والوصف"الاثنوغر افيا" وثانيا: تفسير البيانات "الاثنولوجيا" وثالثا: المقارنة

[6] Jean Copans, Nicolas Adell, Introduction à l'ethnologie et à l'anthropologie, ed Armand Colin, 2019,Paris,p24.

الانثروبولوجيا[7].

وبالتالي نستعمل الاثنوغرافيا لوصف المجال والاثنولوجيا والانثروبولوجيا لوصف الجهد المبذول من أجل المساهمة النظرية للبحث.

الاّ أنّ اختلاف التسميات يعود الى أصول هذا العلم فالاوّل فرنسي والثاني أنجلوساكسونسي. "سوف يتم التعرض بالتفصيل لهذه التسميات في المحاضرات المقبلة" فلقد استعمل مصطلح الاثنولوجيا في فرنسا بشكل واسع لدراسة الشعوب ذات التقاليد الشفوية أو الشعوب بدون كتابة أو بدون تاريخ وينبع متحف باريس فرنسا Le Musé de l'Homme من هذه الفكرة.

أصبحت الاثنولوجيا تخصّصا قائما بذاته يدرّس في الجامعة ابتداءا من سنة 1925 على اثر اقامة معهدالاثنولوجيا في جامعة السوربون كان من المهمة الاولى لهذا العلم هو دراسة الاختلافات بين الأجناس ويستعمل مفهوم العرق لدراسة العوامل البيولوجية والعرقية المتمايزة، بالرغم من أنذ بعض علماء الاثنولوجيا الفرنسيين كانوا يحبذون مصطلح الأنثروبولوجيا من خلال انشاء الجمعية الأنثروبولوجية من أمثال بول بروكا Paul Broca 1858 لدّلالة على المعنى الشامل لثنائية البيولوجي/الثقافي[8]**، الّا انّ الطابع الفيزيقي الذي سيطر على مصطلح الأنثروبولوجيا أعطاها معنى دراسة الخصائص**

[7]Levi Strauss Claude, Ethnographie, Ethnologie, Anthropologie, in Anthropologie structurelle, Plon,1958 - 1974 ,411-413.

[8] Emmanuelle Sibeud, Ethnography, ethnology and Africanism, The disciplinarisation of French ethnology in the first third of the 20th century, p. 229-245.

البيولوجية الفردية فيما أصبحت الاثنولوجيا تخصّصا ثانويا للانثروبولوجيا.

فيما تعتبر الأنثروبولوجيا الدّراسة الشّاملة للإنسان من النواحي الفيزيقيّة والاجتماعية والثقافية، بالرّغم من أنّ هذا العلم في حدّ ذاته وقع عليه تضارب بين انجلترا التي تقتصر على الانثروبولوجيا الاجتماعية لدراسة القوانين التي تحكم العيش في المجتمعات من خلال وظائف المؤسسات مثل: الأسرة والقرابة والتنظيمات السياسية... فيما فضلت أمريكا تسمية الانثروبولوجيا الثقافية لدراسة مظاهر الانتشار الثقافي.

IV. المحاضرة الرابعة: الانثروبولوجيا الطبيعية

1. تمهيد:

غالبا ما يشار الى الأنثروبولوجيا الطبيعيّة على أنّها أحد الحقول الفرعيّة التقليدية في الأنثروبولوجيا، ويتحد علماء الأنثروبولوجيا الفيزيقيّة في دراسة البشر مما يطلق عليه عادة منظور الثقافة الحيوية، فحيث تدرس علم الاحياء البشري في سباق الثقافة والسلوك البشري.

2. تعريفها وموضوعها:

تأخذ الانثروبولوجيا موقعا وسطا بين العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فهي تدرس أساس الاختلافات البشرية بردّها إلى الاختلافات البيولوجية الفردية وتؤمن بتعدّد المنشأ الأصلي للإنسان وفكرة التطوّر البيولوجي للإنسان، وبذلك فهي علم يهتمّ بتنوع وتطوّر المجموعات البشرية الماضية والحاضرة في مكوّناتها البيولوجية والفيزيقية وكذلك الثقافية.

وتتعدّد تسمياتها من بلد إلى آخر ففي الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ تسمية الأنثروبولوجيا الفيزيقية وكذا هو الحال في فرنسا أما بريطانيا ففضلت استعمال

مصطلح البيولوجيا البشرية.

وتعرّفها الرابطة الدّولية لعلماء الأحياء البشرية سنة 1967 بانّها " دراسة طبيعة وأسباب وآليات وأصول التغيّرات البيولوجية في التجمّعات البشرية" مع ايلاء اهتمام خاص للعلاقة بين العوامل الجينية والعوامل البيئيّة (البيئة الاجتماعية والثقافية) المسؤولة عن هذه الاختلافات، فالوراثة والبيئة يتداخلان بحيث يكون هناك تفاعل بين الصفات البيولوجية وردود الافعال الثقافية، وهذا ما يظهر جليّا في كلّ من دراستي:

- **لامارك Lamarck (1744-1829) الانواع تتطوّروتصبح شيئا فشيئا معقدة.**
- **داروين (1809-1882) Darwin: "أصل تطور الأنواع" بحيث يتطرق فيها الى التطوّر الجيلي الذي يحدث عندما تتكيّف الأشكال العضوية مع تغيّرات المحيط.**

3. الانثروبولوجيا الطبيعية والعلوم المساعدة:

لا يعتمد المتخصّص في الانثروبولوجيا الفيزيقيّة فقط على العلوم البيولوجيّة الأساسية مثل: علم التشريح والكيمياء الحيوية وعلم وظائف الأعضاء وعلم الوراثة وعلم الأمراض، ولكن يستعين كذلك بمختلف فروع العلوم الإنسانية مثل: الديمغرافيا والاثنولوجيا والتاريخ والبيئة البيولوجية للسكان في الوقت الحاضر مع تلك الخاصّة بتطوّرهم والتحوّلات التي مرّوا بها في الماضي، كما تستعير الانثروبولوجيا الفيزيقية بعلم الحفريات البشريّة للكشف عن بقايا العظام وكذا

علم الآثار لتقصي المخلفات الأداتية والأشياء الثقافية التي كان يعتمد عليها الإنسان الأوّل.

1.3 تطوّر الانثروبولوجيا الطبيعية:

لم تعد الانثروبولوجيا الفيزيقية او البيولوجية تصف مورفولوجيا السكان وإسنادهم إلى التصنيف العرقي ولكن مجال الدّراسة اتّسع وتنوّع وأصبح يبحث في المسافات البيولوجية بين السّكان وأسباب وآليات التباين بينهم وتحليل التركيب الدّيمغرافي و أنماط التحالفات الزوجيّة، الخصوبة والوفيات، الهجرة، العزلة وتدفّق الجينات، التقلّبات الديمغرافيّة التي لها دور كبير في توزيع و انتشار أنواع بشرية في رقعة جغرافيّة معينة وكذا معرفة الأسباب التّاريخيّة لتركّز هذه المجموعات البشرية مع دراسة حياتهم و البيئة المادية التي يعيشون فيها.

كما تتركزّ الدّراسات الحالية على الآثار الاجتماعيّة والبيئيّة والصّحية للنزاع البشري و آثار الإبادة الجماعية والحرب وأشكال أخرى من العنف والصحّة البيئيّة.

وتوفّر الانثروبولوجيا الفيزيقيّة نظرة ثاقبة على صحّة الإنسان والمرض وتدرس وتحلّل المفاهيم الطبيّة السائدة في المجتمعات.

وبذلك أصبحت الانثروبولوجيا الفيزيقيّة تعتمد على علوم مساعدة أخرى من أهمها علم السّكان وعلم الاجتماع والتاريخ والطّب (مثلا الكشف عن بعض آفات العظام والأسنان عن طريق الحمض النووي ADN) للكشف عن العادات الصحيّة

والممارسات الغذائية مثلا وعلوم البيئة هذا إضافة إلى العلوم التي تمّ ذكرها آنفا.

2.3 انثروبولوجيا الأصول البشرية:

لقد كان للانثروبولوجيا الفيزيقية كما ذكرنا سابقا تقاليد راسخة في دراسة الانسان، فكانت قناعات الباحثين في هذا الحقل ثابتة بأنه لا وجود لأصل انساني واحد وانّما لأصول انسانية متعدّدة تنعكس طرق وأنماط العيش الثقافية وبالتالي تساهم في التفاوتات الموجودة في مختلف أنحاء العالم، اضافة الى كون الكائن البشري يتطوّر من الناحية البيولوجية وهذا استجابة للظروف البيئية المحيطة به ومن ثمّ يظهر العنصر المتطوّر بدلا من النسخة "البدائية" للانسان.

وعلى هذا الأساس بدأت في الظّهو الدّراسات الانثروبولوجية التي تهتمّ بالتطوّر البيولوجي للانسان وذلك في الو.م.أ في فترة مابين الحربين، وذلك من خلال الدّراسات المقارنة للأنواع المتقاربة للانسان والتي تسمّى الرّئيسيّاتLes Primates ومن امثلتها (القرد وشومبونزي والغوريلا) أو ما يسمّونه أشباه البشر التي توجد في افريقيا ومن المعتقد أنّها تشبه الانسان الى حدّ بعيد في تنظيمها الاجتماعي وفي نظام التزاوج.

هذا ماجعل تشارز داروين (1809-1882) صاحب نظرية التطوّر يعتقد بأنّ البشريّة تجد أصلها البعيد في افريقيا، كما اثبتت دراسته بأنّ الرئيسيّات تمتلك ما يسمّى بالثقافة وهي ذخيرة من السّلوكيّات و أنماط الاتصال والتّعلّم والتّنقّل.

4. سيناريو التطوّر البشري حسب النظرية التطورية:

كلّ مابناه العلم من نظريّات ومعارف حول سيناريو التطوّر البشري منذ بدأ الدّراسات حول أصول الانسان، كان دائما عرضة للتغيّر من جرّاء الاكتشافات التي تتراكم بوتيرة سريعة في علم الوراثة وعلم الحفريّات، ولكنّ النتائج العلميّة المتوصّل اليها لا تزال تجزم بانّ الانسان ظهر منذ حوالي 4 ملايين سنة، وذلك من خلال تطوّر القردة البشريّة وتحوّل الهيكل العظمي في شكل وعمل السّاقين والقدم والحوض و الأيدي، وعلى أساس الاكتشافات الحفرية المتواصلة صنفت الأصول البشرية الى العديد من الانواع بدأ من الاكتشافات التي حدثت سنة 1856 في كهف في مدينة Dusseldorf الألمانية لبقايا " انسان أوّل" اعتقد أنّه يعود الى400.000 سنة بمورفولوجية تحمل عناصر حيوانية و عناصر انسانيّة في الوقت ذاته وسمّي بإنسانNeandertal وعلى حسب الدّراسات فانّ هذا النوع قد انقرض منذ حوالي 40.000 سنة بدون معرفة الأسباب. ثمّ أظهرت الحفريّات سنة1971 بأنّ هناك نوع أقدم من انسان نيودرتال بحيث عثرفي افريقيا وبالضبط في كينيا و اثيوبيا على بقايا عظام اعتقد أنّها تنتمي الى الانسان الاوّل الذي يعود الى حوالي 2 مليون سنة مع بقايا احجار وعظام الحيوانات وسمّي هذا النّوع ب:Homo habilis، ثم عثر في انحاء مختلفة في آسيا في حيفا فلسطين و بكين بالصين على بقايا تعود الى 1.8 سنة وسمّي بانسان Homo erectus [9]، ولكن لم تثبت الدّراسات ما اذا كان سليل نوع من الانواع ام لا، وفي اثيوبيا تمّ العثورعلى نوع آخر يعتقد انّ أصول الانسان الحديث تعود اليه لانّه يحمل تقريبا نفس الخصائص البيولوجيّة والمورفولوجية انسان اليوم ويرجّح انّه عاش منذ195.000 سنة وسمّي ب Homo sapiens، بحيث يعتقد بأنّ التطوّر الذّي مرّ به

[9] بيتر فارب، بنو الانسان، تر: زهير الكرمي، عالم المعرفة، 1983، ص 33.

"الانسان العاقل"[10] ليس فقط تطوّرا بيولوجيا ولكنّه تطوّر في التنظيم الاجتماعي و في الادوات.

5. نماذج من دراسات في التيار التطوري:

تعتبر التطوّرية أوّل تيار فكري في تاريخ الانثروبولوجيا ولقد تطوّر في نهاية القرن 19م مابين 1850-1910 وكان لها عظيم الاثر في الو. م. أ وبريطانيا.

ومن نماذج تلك الدّراسات نجد ساهمة لامارك Jean-Baptiste De Lamarck(1744-1829) : في كتابه "فلسفة علم الحيوان" La philosophie Zoologique سنة 1809 تأسست الدراسة حول طرائق التطوّر البيولوجي وذلك بأّن البيئة المحيطة تساهم في تحويل الكائنات الحيّة وعن طريق التكيّف تعدّل بنيتها البيولوجيّة، فالحاجة هي التي تطوّر البيئة ثمّ ينعكس ذلك على الأعضاء، وفق هذه النظرية تطوّر الانسان من الشكل البسيط الى المعقّد، وبهذا يكون لامارك هو اوّل من منهج فكرة تحوّل الأنواع بسبب الاصطدام بتحوّل الظروف الخارجية بحيث يعتقد لامارك بأنّ الزرافة مثلا أصبحت رقبتها أطول بمرور الوقت لأنّها كانت تمتدّ لتصل الى أوراق الأشجار العالية، وهذا على امتداد الأزمنة و بتطوّر تدريجي يشمل أجيال متعدّدة.

[10] عاطف وصيفي، نفس المرجع السابق، ص13.

نموذج تشارز داروين Charles Darwin (1809-1882) بحيث يعتبر هو أوّل من سار على نهج لامارك في كتابه " أصل الأنواع" سنة 1859، ولكنّه خالفه في كون التطّوّر لا يحصل انطلاقا من تحوّل الظروف الخارجية و انّما عن طريق الانتقاء، فالأنواع أصلا تمتلك تنوّعا ولكن البقاء يكون لنوع واحد مثلا خلافا عن بقية الأنواع الأخرى، ففي مثال الزرافة فحسب داروين كانت هناك أنواع متعدّدة من الزّرافات الاّ أنّ ذات العنق الطويل هي التي بقيت و قد يكون ذلك بسبب أنّها كانت تستطيع أكل عشب الشجر ومنه فانّ التكاثر سوف يكون لهذا النّوع. فالنّوع الذي يكون أكثر ملاءمة لبيئته هو الذّي يبقى، فبالنسبة لداروين فانّ عمليّة التطوّر لا تتأثر بالعالم الخارجي و انّما التكيّف معه هو الذي يجعلها تدوم وتستمرّ.

وبالتالي نستطيع القول بأنّ داروين أخذ بمبدأ لامارك ولكنه قلب النظرية فخالفه في أسباب البقاء، فالطفرة التي وجدها إثر دراسته لجزر غالاباغوس جعلته يجزم بهذه النظريّة، وبالتالي عارض هو الآخر نظريّة "الثبات" في الخلق، وقد استنتج من خلال دراسة انواع الحيوانات بأنّ الانسان كذلك قابل للتطوّر وذلك في دراسته أصل الانسان سنة 1871، وقد كان لهذه النظريّة عظيم الاثر على تطوّر الأفكار العنصريّة في نهاية القرن 19م وتعزيز التحيّز العرقي في العالم الغربي.

V. المحاضرة الخامسة: الأنثروبولوجيا الاجتماعية

1. **تعريف الانثروبولوجيا الاجتماعية:** يعرّفها ايفانز بريتشارد على انّها دراسة النظم الاجتماعيّة، كالعائلة ونسق القرابة كما تدرس مختلف التنظيمات السّياسية والقانونية وتشمل كذلك النظم الدّينيّة وأشكال العبادات، كما تدرس تطوّر هذه النظم عبر الازمنة بمعنى في الماضي والحاضر.[11]

2. **مجالات بحث الانثروبولوجيا الاجتماعية:**

يركّز الباحث في ميدان الانثروبولوجيا الاجتماعيّة على دراسة المجتمع الذّي يعتبر تكتّلا منظّما لمجموعة من الأفراد يتفاعلون فيما بينهم و يشكّلون طريقة عيش معيّنة، ولا يمكن ان نسمي مجموعة من الناس مجتمعا الاّ اذا كانوا يعيشون تحت نفس النظم المشتركة و التي نسميّها في المجتمعات "الحديثة" بالمؤسسات الاجتماعيّة، فالمجتمع يتكوّن من البنى والعلاقات الاجتماعية و من أهمّها: الزواج، الاسرة، التعليم، السياسة ، الدّين، الاقتصاد...وكلّ مؤسسة لها دور محدّد في المجتمع وتساهم في الحفاظ على النّظام

[11] Evans Pritchard, Anthropologie sociale, édition électronique, ed Microsoft Word, 2001, p12.

الاجتماعي، فيهتم عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية بدور هذه المؤسسات وطبيعتها والعلاقة التي تربطها بالمؤسسات الاخرى التي تدخل ضمن نطاق البناء الاجتماعي الواحد.

فالانثروبولوجيا الاجتماعية تعتبر بانّ جميع جوانب الحياة الاجتماعيّة يعني الاقتصاديّة منها، السياسيّة، القانونيّة، الفنيّة والدّينيّة تشكّل كلاّ ولا يمكن دراستها بفصل واحدة عن الاخرى.

فكلّ مجال له وظيفته ومجموع الوظائف يعطي لنا مصطلح البنية "la structure".

3. أصول الانثروبولوجيا الاجتماعية:

بالرغم من أنّ علم الانثروبولوجيا كان يظهر في بداياته على أنّه الدّراسة الشاملة للإنسان الاّ أنّ الحقول البحثية المختلفة التي تخصّص فيها علماء الانثروبولوجيا في كلّ بلد من العالم، والتأثّر الكبير ببوادر بعض العلوم كالعلم الاحياء والارهاصات الاولى لعلم الاجتماع وعلم النفس، كلّ هذه الظروف جعلت علم الانثروبولوجيا يأخذ في صبغته وفي تسميته غلبة نوع معيّن من الدّراسات فاختلفت كلّ من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكيّة في تسمية هذا العلم.

لذلك ظهرت عدّة مدارس للتفكير ومنها عدّة تسميات، فنجد مثلا:

المدرسة البريطانية: تعتمدعلى ثلاث ميادين وبالتالي ثلاث تسميات:

- الانثروبولوجيا البيولوجيّة.

- الانثروبولوجيا الاجتماعيّة

- الانثروبولوجيا الاركيولوجيّة.

أمّا المدرسة الامريكيّة فتقسّم علم الانثروبولوجيا الى أربع ميادين كبرى:

- الانثروبولوجيا الفيزيقية

- الانثروبولوجيا الثقافيّة

- الانثروبولوجيا الاركيولوجيّة

- الانثروبولوجيا الالسنية وذلك للتطوّر الكبير الذي عرفت امريكا في مجال الدّراسات اللّغوية والالسنية.

فيما فضلت فرنسا في القرن 19م الانفراد بمصطلح الاثنولوجيا بدلا من الانثروبولوجيا الاجتماعيّة، لدراسة العلاقات الاجتماعية ومختلف التنظيمات السياسيّة والنشاطات الاقتصاديّة وكذا المظاهر الثقافيّة، ولم تعتمد على تسميّة الانثروبولوجيا الاّ فترة زمنية متقدّمة من القرن العشرين مع تأثير بنيويّة ليفي ستروس.

وبالرغم من أن الدراسات البريطانيّة قد تركزت هي الأخرى على دراسة الشعوب "البدائيّة" الاّ أنّها أعطت صفة الانثروبولوجيا الاجتماعية لهذه الدّراسات و يرجع ذلك الى تأثير الدّراسات التمهيديّة التي أثرت على الانثروبولوجيا ومن أشهرها دراسة دافيد هيوم وآدم

سميث12،على اعتبار أنّ المجتمع نسق طبيعي ينشأ من الطبيعة البشرية للانسان وليس عن طريق التعاقد، و بالتالي فانّ كلّ تجمّع بشري مهما كان نوعه حديثا أو بدائيّا يعتبر مجتمعا و يحمل في طيّته أنظمته الاجتماعية و القيميّة الخاصّة به، وهذا عكس المدرسة الفرنسية التي تعطي صفة "الاجتماعي" الى المجتمعات "الحديثة" فقط.

ولقد أصبحت الانثروبولوجيا الاجتماعية علما معترفا به في بريطانيا بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد ظهور العديد من الدّراسات التي ركّزت على النظم الاجتماعية في المجتمعات "البدائية" ومن أبرزها دراسة كلّ من تايلور للدّين وماكلينان للزواج الاّ أنّهما لم يستعملا في دراستيهما الاّ جمع بعض المعلومات حول هذه الشعوب دون اللّجوء الى الدّراسات الميدانية، التي عرفت انتعاشا مع الرّواد اللاّحقين في هذا التخصّص ومن أبرزهم مالينوفسكي.

4. تطوّر الانثروبولوجيا الاجتماعيّة:

بدأت الانثروبولوجيا الاجتماعيّة في مرحلة التخصّص العلمي بداية من ثلاثينات القرن العشرين، بحيث أصبحت فرعا يدرّس في الجامعة البريطانيّة وكذلك عديد من الجامعات الأوروبية، وفي عام 1938 أعاد راد كليف براون تنظيم معهد الانثروبولوجيا في جامعة اكسفورد و طوّر مناهجها، وبالاشتراك مع مالينوفسكي الذّي أسّس المعهد الدّولي الافريقي في جامعة أكسفورد وكانت تصدر عنه مجلّة متخصّصة في الانثروبولوجيا الاجتماعيّة،

[12] عاطف وصيفي، مرجع سبق ذكره، ص24.

فبفضل مالينوفسكي ازدهرت الدّراسات الميدانية لفهم حياة النّاس وعلاقاتهم الاجتماعيّة من داخل هذه المجتمعات وليس من خلال جمع المعلومات عنها.

انّ النظرة الآنية للظاهرة الانثروبولوجيّة التي تميّز بها مالينوفسكي بدلا من التاريخيّة مهّدت الطريق فيما بعد لكلّ الباحثين من بعده في علم الانثروبولوجيا البريطانيين وغيرهم لتأسيس دراساتهم للمجتمعات "البدائيّة" على أساس تقنية ملاحظة المشاركين.

5. نماذج من الدراسات في الانثروبولوجيا الاجتماعيّة:

يعدّ كل من راد كليف براون و برونيسلاو مالينوفسكي أحد أقدم و أبرز روّاد هذا العلم، وذلك لاشتراك فكرتهما حول وظيفة و أهمية النظم الاجتماعية في المحافظة على البنية الاجتماعيّة الكليّة، وعلى أساس ذلك أخذت الانثروبولوجيا الاجتماعيّة صفة التيّار الوظيفي.وفيما يلي سوف نعرض هذان النموذجان الفكريّان اللّذان كانا لهما عظيم الاثر في صياغة منهج و افكار التيّار الوظيفي الانجليزي.

1/ الوظيفة: برونيسلاو مالينوفسكي Bronislew Malinowski (1884-1942):

وضع مالينوفسكي حدّا لأنثروبولوجي "المكاتب" او "الصالون" والاحكام المسبقة للنزعة العرقيّة والرّؤية أحاديّة البعد، وذلك بإرساء تقنيات العمل الميداني، ولقد تأثّر باعمال دوركايم في تحليل الظاهرة الاجتماعيّة او المؤسسّة بمساعدة الظواهر المرتبطة بها داخل المجتمع نفسه، وهذا ما يسمّى في علم الاجتماع بالتيّار الشّمولي.

فعندما نشر مالينوفسكي اعماله الخاصّة بالدّكتوراه سنة 1913 نجده انّه كان بعيدا كلّ البعد عن التيّار التطوّري، فدرس الاستراليين وفقا لايكولوجيتهم وليس لماضيهم أو تاريخهم، فدرس كلّ "مؤسسة" في علاقتها مع " المؤسسات" الاخرى، ولكنّه بعد ذلك انتقد دوركايم في دراسته دون ان يراعي الأبعاد النفسيّة والبيولوجية، بحيث يرى مالينوفسكي انّه لا يمكن فصل المجموعة عن الفرد.

كما نجد هذا البعد حاضرا في دراسته الشهيرة لجزر التروبرياند الو اقعة في المحيط الهادي والتي اسماها ب "Argonants of Western pacific "سنة 1922، فيؤكّد بأنّ الباحث ملزم بمشاركة مشاعر السّكان الأصليين من خلال تحليل جميع ردود أفعالهم العاطفيّة. وبسبب اتصاله الطويل مع قبائل التروبرياند Trobriands قلب مالينوفسكي الآراء المتمحورة حول العرق فبالنسبة اليه الانسان كائن عقلاني "منطقي"، فلا وجود لمجتمعات تعيش فيها مجموعات بشرية "لامنطقية" او بدون تفكير، فكلّ مجتمع بشري يظهر مجموعة من المعرفة القائمة على العقر والخبرة.

ومن خلال استعانته بعلم البيولوجيا تمكّن من الاثبات بأنّ كلّ الناس متساوون ولديهم نفس الاحتياجات الفيزيولوجيّة ولإشباعها يقومون ببناء مجموعة متنوّعة من الأنظمة كلّ منها يثبت من خلال وجوده قدرته على تلبية هذه الاحتياجات، ومنه فلقد اولى مالينوفسكي اهتماما كبيرا للثقافة وأسّس لنظرية الحاجات فكلّ حاجة بيولوجية تقابله استجابة ثقافية والمؤسّسات ماهي الّا تعبير مادّي عن هذه الثقافة.

ولانّ الناس متساوون جسديّا ومعنويّا يجب أن تكون كلّ المجتمعات التي يعيشون فيها

متساوية كذلك، والمعيار الوحيد للتفريق بينهم هو وظيفة هؤلاء النّاس.

وكان من الاوائل الذّين اكّدوا انّه لاتوجد "شعوب في مرحلة الطّفولة" وانّما اعطى للتروبرياند مصطلح مجتمع منطقي وراشد، وبذلك نزع صفة الغرابة عن الانثروبولوجيا واعطى لهذا العلم صفة العلم والموضوعيّة، فاستعمل تقنية الملاحظة بالمشاركة والتحليل الوظيفي، فوصف زورق قبيلة التروبرياند والمجموعة التي صنعته وطقوسهم السحرية والقواعد التي تحدّد حيازته وبالتالي أعطى صورة عامّة او معرفة أفضل حول الوظيفة التي كان يؤدّيها هذا النشاط وعلاقته بانشطة القبيلة باكملها.[13]

هذا ما قاد مالينوفسكي إلى الذّهاب بنفس البيانات إلى الجوانب: الايكولوجيّة والتقنية والهيكليّة أو البنيويّة والمعياريّة.

كان مالينوفسكي متواجدا دائما ويعمل في القرى مختلطا بالسّكان في حياتهم اليوميّة، الأحداث العرضيّة والدّراميّة، الوفيات، الخلافات، المشاجرات القرويّة، الاجتماعات، الاحتفالات العامّة كلّها كانت مواضيع لملاحظته.

فالملاحظة بالمشاركة من شأنها الغاء تأثير ثقافة الباحث ونظرته المركزيّة وفهم الثقافة من وجهة نظر السّكان الاصليين وهذا يتطلّب كذلك التواجد النفسي، ومن هنا يأتي المنهج النفسي او التحليل النفسي وضرورة دراسة العقليّات وفهم دوافع ومشاعر النّاس.

2/ الهيكل والوظيفة: راد كليف براون Raddcliff Brown (1881-1955):

[13] Copans,Adell,opcit, p52.

كان لدراسات راد كليف براون وقعها في الدّراسات الأكاديميّة لجامعة أكسفورد ولندن و مانشستر، بحيث عارض براون فكرة التطوّروفكرة التاريخانيّة فيما يخصّ المجتمعات دون كتابة وناضل من اجل تعزيز الانثروبولوجيا الاجتماعيّة واستعمل مصطلح الوظيفة الاجتماعيّة، وبالرغم من أنّه ينتمي الى نفس تيار مالينوفسكي الّا انّه في فكرة الرّبط بين البيولوجي والثقافي، كون الاحتياجات البيولوجيّة للانسان لها استجابة ثقافيّة "الثقافة تركيب بيواجتماعي"، فبالنسبة لبراون العلوم الطبيعيّة ماهي الّا منهجيّة يستعملها الباحث في العلوم الاجتماعيّة كما يقارن عالم البيولوجيا الانواع فانّ عالم هذه العلوم يقارن المجتمعات.

لقد ظهر توجّه راد كليف براون جلّيا في مجموعة من الاعمال التي نشرها ومن اهمّها "جزر الاندمان" في الهند سنة1922و مجموعة من المقالات التي جمعها في كتاب واحد أماه ب "البنية والوظيفة في المجتمع البدائي" سنة 1952، بحيث أكّد على أنّ آليات المجتمعات لها أوجه مشابهة للبيولوجيا، فمثل الكائن الحيّ الذّي يتكوّن من مجموعة من الأعضاء المرتبطة ببعضها البعض ارتباطا وظيفيّا لتشكّل كلّا متكاملا، كذلك يمكن اعتبار المجتمع كلّا متكاملا يؤدي فيه كلّ مؤسّسة او نظام وظيفة معيّنة فتشارك بذلك في حسن سير المجتمع ككل وفي استمراريته فهذه الأنظمة مترابطة مثل الأعضاء.[14]

لم يوافق راد كليف براون كلّ الموافقة مع مالينوفسكي في مبدأ الحاجات البيولوجيّة و النفسيّة التي تفسّر سبب وجود الانظمة والمؤسّسات كإجابات ثقافية لأنّه في نظر براون

[14] Marie Odile Géraud et autres, Les notions clés de l’éthnologie, ed Armans Colin,2000, Paris p134.

فانّ البيولوجي لا يفسّر الاجتماعي و انّما العكس "يأخذ من البيولوجيا منهجها المقارن فقط" فبراون مثله مثل دوركايم لا يبحث عن سبب وجود هذه المؤسّسات بقدر ما يبحث عن الوظائف التي تؤدّيها داخل البناء العام، ومنه فلقد أضاف براون الى وظيفيّة مالينوفسكي مصطلح البناء او الهيكل الذّي يمثّل مجموع العلاقات الاجتماعيّة التي توحّد الافراد فيما بينهم لتشكّل كلّا، فبالنسبة لبراون فانّ الفرد لا يعبّر عن الوحدة الصّغرى للمجتمع و انّما علاقة هذا الفرد مع باقي المجموعة والبناء هو جملة هذه العلاقات المنظمة بين وحداته.

وبالتالي فانّ براون ليس كمالينوفسكي ففيما يؤكّد الثاني على مصطلح الثقافة لتفسير الأنظمة والمؤسسات الموجودة في المجتمعات، يستعمل الأوّل المجتمع أو البناء أو الهيكل المتضمن المجموعات والمؤسسات ويبحث في وظائفها داخل هذا الهيكل.

VI. المحاضرة السادسة: الأنثروبولوجيا الثقافية

1. تعريف الانثروبولوجيا الثقافيّة:

الأنثروبولوجيا الثقافية هي أحد ميادين علم الانثروبولوجيا ويركّز هذا الميدان على دراسة الانسان من حيث هو فرد في المجتمع وله ثقافة معيّنة، وبذلك يركّز على أساليب حياة الانسان وسلوكاته التي تتلخّص في بعض المظاهر الثّقافيّة مثل: نمط العيش والأكل وطرائق التربية والعبادات والفنون والقيم واللّغة...، كما يركّز المتخصّص في الانثروبولوجيا الثقافيّة على دراسة التفاعلات بين الثقافات وفهم التنوّع الثقافي والتغيّر الثقافي.

ويدرس علماء الأنثروبولوجيا الثّقافيّة كلّ من الثقافة والمجتمع، أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات، فعند النظر في تنوّع الزّمان والمكان يدرك المختصين في هذا الميدان ما هو كوني ومعمّم وماهو خاص.

2. الثقافة والتثقيف:

تعتبر الثقافة مفهوما أساسيّا في الانثروبولوجيا ولقد اقترح ادوارد تايلور منذ 1871 في كتابه "الثقافة البدائيّة" نظرة عامّة وشاملة حول الثقافة ويتمّ استخدامه على نطاق واسع: "الثقافة هي ذلك الكلّ المركّب الذي يشمل، المعرفة، المعتقدات، الفنون، الاخلاق، القانون، العادات، وايّة قدرات او عادات أخرى يكتسبها الانسان كعضو في المجتمع" فالثقافة في هذا الصّدد لا تكون من خلال الوراثة وانّما من خلال النّمو في مجتمع معيّن، حيث التثقيف او التنميط l'enculturation هي العمليّة الأساسية التي يتعلّم من خلالها الطفل ثقافة مجتمعه[15].

فيستوعب النّاس تدريجيّا نظاما محدّدا من المعاني والرّموز التي يستخدمونها لتحديد عالمهم والتعبير عن مشاعرهم، وبعد ذلك يساهم هذا النّظام في توجيه سلوكهم وتصوّراتهم.

فتأخذ الثقافة الحوافز البيولوجيّة الطّبيعيّة التي يتقاسمها البشر مع الحيوانات، وتعلّمنا الثقافة كيفية التعبير عنها بطرق مختلفة، فيجب على النّاس ان يأكلوا لكن الثّقافة تعلّمنا ماذا وكيف ومتى نأكل، ففي العديد من الثقافات يتناول النّاس وجبتهم الرّئيسيّة عند الظّهر، لكن عند شعوب أخرى تأكل الوجبة الرّئيسيّة عند العشاء.

كما انّ الاشكال العامّة للثقافة والتي تكون متشابهة بين كلّ البشر، لا يمكن ان نقصي من خلالها ما يسمّى بالاستخدام الإبداعي للثقافة، فعلى الرّغم من وجود القواعد الثقافيّة

[15] Conrad phillip kottak, Anthropology the exploration of human diversity, the university of Michigan, North America, p36.

المشتركة الاّ انّنا نفسّر القاعدة ونتلاعب بها بطرق مختلفة، فيتمّ انتهاك الكثير من القواعد مثلا "حدود سرعة السياقة"، فالثقافة عامّة وكذلك فرديّة على حدّ سواء، فلا يهتمّ علماء الانثروبولوجيا بالسّلوك العام و انّما بكيفيّة تفكير الأفراد وشعورهم وتصرّفاتهم.

3. آليات التغيّر الثقافي: التثاقف:

يمكن للثقافات المتلامسة الحصول على السّمات من بعضها البعض من خلال الاقتراض او الانتشار، وهو عمليّة مهمّة للتغيّر الثقافي، فطوال تاريخ البشريّة لم تكن الثقافات معزولة بل في تواصل واحتكاك مستمر، ويكون الانتشار مباشرا عندما تتجاور ثقافتان او تتزاوجان او تشنّنان حروبا على بعضهما البعض وهنا يكون الاقتراض قسريّا.

ويكون في حالات أخرى غير مباشر عندما تنتقل المنتوجات والعناصر الثقافيّة من مجتمع الى آخر عبر وسائط أو مجموعات أخرى مثل وسائل الاعلام والتكنولوجيا، فالتعرّض للقوى الخارجيّة من خلال هذه الوسائل يؤدّي الى عمليّة التثاقف كما انّ الهجرة ووسائل النّقل الحديثة وغزو العولمة كلّها عناصر تساهم في تخطّي الأطر الثقافيّة المحليّة، ممّا يجعلها موضوع التغيّر والتحوّل.

فالتثاقف L'acculturation هو آلية للتغيّر الثقافي وهو تبادل السّمات الثقافيّة التي تنتج عندما يكون لدى المجموعات اتصّال مباشر ومستمر، فتتغيّر أجزاء من الثقافات فتمتزج اللّغات والأطعمة والوصفات، الموسيقى والرّقصات، الملابس والأدوات، فكما لاحظ

فرانس بواس Franz Boasبأنّ الاتصال في القديم بين القبائل المتجاورة كان دائما موجودا وامتدّ الى مناطق هائلة، فيبني السّكان ثقافاتهم بالتفاعل مع بعضهم البعض وليس بمعزل عن الآخرين ،كما قد تكون الحاجة هي أمّ الابداع في بعض الثقافات فتنتج أشكال جديدة.[16]

وبهذا تعتبر ظاهرتي التثقيف والتثاقف من أبرز مواضيع الانثروبولوجيا الثقافيّة، التي تفحص وتدرس الاختلافات والتشابهات التي يتمّ تجميعها من الدّراسات الميدانيّة التّمييز بين ماهو عالمي وما هو خاص او محلّي.

4. الانثروبولوجيا الثقافيّة والعلوم المساعدة:

يستعين الدّارس للثقافات عبر الأزمنة والمجتمعات الى ميادين علميّة تساعده في فهم الظاهرة الثقافيّة ومّما سبق ذكره فانّ الثقافة تتجسّد في مجموع الرّموز والسلوكيات الموجودة عند جماعة معيّنة ولفحصها على هذه المستويات لابدّ من الاستعانة بعلم الاركيولوجيا مثلا الذّي نعيد من خلاله بناء الأنظمة الاجتماعية في الماضي، فمن خلال هذا العلم نستطيع بناء ووصف وتفسير السّلوك البشري والانماط الثقافيّة من خلال البقايا المّاديّة.

ولا نستعمل علم الآثار لدراسة المجتمعات القديمة فقط وانّما حتّى الحديثة منها، ففي دراسة ل William Rathje في أريزونا سنة 1973 خصّ بها الحياة المعاصرة، فضّل اللّجوء

[16] Marie Odile Géraud, Ibid, p100-101.

الى القمامة لأنها تبيّن لنا ما الذّي يفعله فعلا الأشخاص وليس ما يعتقدون انّهم فعلوه او ما يعتقدون أنّهم كان ينبغي ان يفعلوه ،فما يقوله النّاس قد يتناقض مع سلوكهم الحقيقي، فتحكي القمامة قصصا عن الاستهلاك وعن الأنشطة، فكشفت القمامة في هذه الدّراسة بأنّ احياء توكسون الثلاثة الو اقعة في أريزونا التي أبلغت عن أقلّ استهلاك للخمر، لديها أكبر عدد من علب الخمر في القمامة[17].

كما يمكن الاستعانة بالانثروبولوجيا اللّغويّة الت يتقدّم مزيدا من المقارنة والتنوّع، بحيث تدرس اللّغة في سياقها الثقافي والاجتماعي وفي المكان وعبر الزّمان، وذلك للتوصّل مثلا الى بعض السّمات المشتركة بين اللّغات وكذلك دراسة الاختلافات اللّغوية لاكتشاف تصوّرات و انماط فكريّة متنوّعة في العديد من الثقافات، كما يتمكّن المختصّ في الانثروبولوجيا اللّغويّة من دراسة الاختلافات في اللّغة الواحدة لاظهار كيف انّ الكلام يعكس الاختلافات والطّبقات الاجتماعيّة، كما انّ التطوّرات في نفس اللّغة تكشف عن الاحتكاكات الثقافيّة بين الشّعوب.

5. الجذور الأولى للانثروبولوجيا الثقافيّة:

حتّى نهاية القرن 19م تقريبا حدّدت نظرية التطوّر طبيعة علم الانثروبولوجيا، وذلك من خلال تحديد المراحل والحالات التي تمرّ بها جميع المجموعات البشريّة، من خلال التفسير الخطّي للتاريخ:

[17]Conrad phillip kottak, Ibid,p7.

بسيط ⟵ معقّد متجانس ⟵ لا متجانس لاعقلاني ⟵ عقلاني

ومن أبرز روّاد هذا التيار نجد مورغان، تايلور وماكلينان، ولكن بعدها أدرك هؤلاء ومن بعدهم بأنهم أهملوا الانقطاعات والتداخلات في تاريخ الثقافة، فأدخلوا مفهوم الانتشار ويشمل انتقال العناصر الثقافية من شعب الى آخر.

فمع بداية القرن 20م بدأ علماء الانثروبولوجيا في التحوّل نحو ما يمكن تسميته وجهة نظر أكثر تعدّدية لمراعاة تنوّع المجتمعات والثقافات والاختلافات وذلك بأخذ كلّ مجموعة بشريّة على حدة والنّظر الى تاريخها بأكمله والاتصالات التي كانت لديها مع مجموعات أخرى. وهذا ما سمّي بالانتشار، فبالنسبة للبريطانيين ممثلة في اليوت سميث E-Smith 1915 فانّ أهرامات المايا ومومياء افريقيا والجواهر البولينيزيّة تجد أصولها في الحضارة الفرعونية المصرية منذ 4آلاف سنة، فالانتشارية تدرس طريقة انتشار العناصر الثقافية: مسارها، سرعة انتشارها، مناطق انتشارها، التعديلات التي أجريت عليها، العوائق والفرص التي تؤدّي الى الانتشار الثقافي فالعناصر الثقافية تجد ارتباطا لبعضها البعض، وبالتالي يمكن دراسة تاريخ انتشارها انطلاقا من تشابهها. الذّي عرفت جذورها في ألمانيا مع راتزل Ratzel الذي يعود اليه الفضل في اختراع مفهوم المناطق الثقافية، فبينما بنى التّيار التطوّري نظريّاته على عامل التطوّرفي الزّمن فانّ التيار الانتشاري بناها على عامل الفضاء الجغرافي ، والمناطق الثقافية هي مناطق جغر افية تشترك في بعض العناصر الثقافية التي انتقلت من المناطق الاصلية الى مناطق أخرى عن طريق الانتشار، أما المدرسة الأمريكيّة والمتمثلة في ويسلر Wissler فقد جاءت بفكرة المركز الثقافي الذي تنطلق منه ثقافة معينة

الى بقيّة الثقافات، فالعناصر الثقافية تنتقل من المركز الى الهوامش وكلّما كانت العناصر غيرواضحة تماما أو ضعيفة هذا يعني أنّ الاقتباس حديث.

6. تطوّر الانثروبولوجيا الثقافية:

1.6 المدرسة الامريكية: 1910-1915:

يعتبر فرانس بواس عالم انثروبولوجي امريكي المنشأ، كان من الأوائل الذّين لجأوا الى منهج البحث التطوّري ولكنّه تجاوزه بالبحوث الميدانيّة، بحيث الهم عددا من طلاّبه من أمثال روث بنيدكت، الفريد كروبر، مارغريت ميد، ادوارد سابير بالخروج والبحث عن ادلّة السلوك البشري بين النّاس في محيطهم الطّبيعي والمغامرة في الميدان لجمع الحقائق وتسجيل العملّيات الثقافيّة التي يمكن ملاحظتها، فبواس يعتبر مؤسّس مدرسة تاريخ الثقافة والتي سيطرت على الانثروبولوجيا الامريكيّة في معظم القرن 20م.

كان بواس يعارض بشدّة الفكرة السّائدة عن وجود صيغة واحدة ثابتة للتطوّر الثقافي، تنطبق على الماضي مثلما تنطبق على المستقبل بالنسبة لكلّ المجتمعات وانّ التطوّر الثقافي يسير دائما من البسيط الى المركّب يحدّد بالضرورة درجات التقدّم، فاقترح بديل ذلك بدراسة كلّ ثقافة على حدة، كما اقرّ بإمكانية تطوّر او تقدّم عناصر ثقافية معينّة عن أخرى مثل: التكنولوجيا، ومن هنا كان يرى بواس ضرورة الاكتفاء في الأبحاث الانثروبولوجية على دراسة ثقافات معيّنة بالذّات، مع تتبّع انتشار سماتها وملامحها في مناطق ثقافية أخرى.

ولكن بواس كان يؤمن بأنّ انتقال العناصر الثقافيّة معرّض دائما للاضافة او إعادة التشكيل أو لضياع بعض العناصر، هذا ما جعله يدرس الاقتباس الثقافي ولكنّه ركّز على الأسباب وطريقة ادراجه في الثقافة المستقبلة، جوانب الرّفض، التشابه، إعادة التأويل والابداع.

فالمجتمع لا يستقبل فقط و انّما يوجد نوع من رجع الصّدى وردّ الفعل على هذا الاقتباس، ولهذا السبب أخذ بعين الاعتبار التطوّرات الدّاخليّة والتي اسماها بالمسارات الدّيناميكّية للثقافات، وأكّد أخيرا على انّ بعض العناصر الثقافية المتشابهة يمكن ابداعها في مناطق مختلفة ومتفرّقة من العالم.

وبهذه الفكرة يكون بواس قد تجاوز الانتشاريّة وأسّس للأنثروبولوجيا الثقافية الامريكيّة، بحيث تمحورت حول النسبيّة الثقافية وعدم وجود شعوب راقية وأخرى منحطّة، كما يعتبر روّاد المدرسة الأمريكيّة بأنّ كلّ ثقافة هي شبيهة بلعبة Puzzle فهي عبارة عن فسيفساء ومزيج من الثقافات مثل "معطف ارلوكان Manteau d'Arlequin".

كما انتهج بواس تقنية جمع تاريخ الحياة ليلفت الانتباه الى المشاكل التي تطرحها الرّوابط بين الثقافة والشخصيّة، بحيث يرتبط الفرد والثقافة لانّ الحياة الاجتماعيّة هي عمليّة يستوعب فيها الافراد معاني الرّوابط العامّة والرّسائل الثقافيّة، ومن ثمّ يؤثّر الناس بمفردهم على الثقافة عن طريق تحويل فهمهم الخاص الى تعبيرات عامّة، وهنا تتقاطع الانثروبولوجيا الثقافيّة مع علم النّفس في تمازج المنظور العام مع الخاص.

7. الانثروبولوجيا الثقافوية:

لقد حقّقت النظريّة الانتشاريّة آثارا مفيدة، تكلّلت بفترة ازدهارها وخاصة في الفترة الممتدّة مابين 1930-1940 فلقد اتسمت بكثرة الأبحاث الميدانيّة والمناقشات، وتركّزت في أمريكا وهذا بفضل تلامذة فرانس بواس كلّ من ادوارد سابير والفرد كروبر واللّذان كان لهما الفضل في إرساء تاريخ العناصر الثّقافية، فأنتجوا دراسات غنيّة بالتفاصيل عن الثقافات واللّغات الأصليّة في أمريكا الشّماليّة، وساعدت الأبحاث حول اللّغات الأصلية على تأسيس اللّسانيات في هذه اللّغات بدل التركيز فقط على اللّغات الهندوأوروبية.[18]

كما طوّر سابير النظريّة التكاملية والتي استطاع من خلالها بأنّ يحصر مجموعة من أنماط السّلوك في دراسة السّلوك الفردي لدى أفراد مجتمع معيّن، فجوهر الثقافة هو مجموع التفاعلات بين الأفراد وما ينجر عنها من علاقات ومشاعر وطرائق العيش المشترك.

1.7 الأنثروبولوجيا الثقافيّة: مدرسة الثقافة والشخصيّة:

تعرّف الثقافويّة التي ازدهرت في ثلاثينات القرن 20م في و.م.أ و التي كان من أبرز روّادها تلامذة بواس والذّين ساروا على نفس دربه من أبرزهم: رالف لينتون، ابراهام كاردينال، روث بنيدكت، مارغريت ميد، بحيث عرّف هؤلاء الثقافة على انّها نظام من السّلوكات التي يتمّ تعلّمها ونقلها من خلال التنشئة الاجتماعيّة والتقليد والتّكيّف و التثقيف والتنميط في بيئة اجتماعيّة معيّنة، الاّ انّ خلفاء بواس أعطوا النصيب الأوفر لعلم النفس في دراساتهم

[18] Jocelyne Streiff Fénort, Culturalisme, in halshs, https://shs.hal.science/halshs-03503333 , p2.

للأنماط الثقافيّة والذّي يمكن ان يكون قد أشار اليه بصفة سطحيّة، فبحث روّاد مدرسة الثقافة والشخصيّة حول معرفة كيف تتجسّد الثقافة عند الأفراد وكيف توجّه سلوكاتهم، فيحدث تشكّل للهويّة بوعي وبدونه.[19]

انّ القيم النموذجيّة السّائدة تجعل من الممكن تخصّص كلّ ثقافة بشخصيّة نمطيّة معيّنة، بمعنى تشريبL'enculturation القيم الخاصّة بكلّ ثقافة في جميع مظاهرها، بحيث تنتج كلّ ثقافة شخصيّة معيّنة.

8. نماذج من دراسات مدرسة الثقافة و الشخصيّة:

ولد تيّار الأنثروبولوجيا النفسيّة الأمريكيّة عندما أصبح بعض طلاّبه مهتمّين بالفكر الفرويدي، في ظلّ أحد الدّوافع العديدة لفرانس بواس في الوقت الذّي بدأ فيه ترجمة اعمال فرويد الى نظرة أنثروبولوجيّة، وذلك لعدم كفاية التوجّه البيولوجي الذّي أخذه فرويد، فلقد ظنّ بأنّ ما اكتشفه أثناء التحليل النّفسي للغربيّين في القرن 19م هو صالح عالميّا.

فيما توصّل التيّار الأمريكي بانّ العقد النّفسيّة للإنسان هي نتاج تكوين اجتماعي، وبالتالي يتعلّق بمختلف الحضارات باختلاف الأوساط الاجتماعيّة حتّى داخل الحضارة الواحدة، فهي ليست ظاهرة من الطّبيعة بل هي فعل من أفعال الثقافة، فخطأ فرويد هو الاعتقاد بأنّ الانسان الذّي حلّله يمثّل الانسان الأبدي، في حين أنّه كان فقط رجل حضارة معيّنة.

[19] Géraud, opcit, p141.

1.8 / مارغريت ميد: Margaret Mead

في الأعمال الرّئيسيّة لمارغريت ميد سنة1928 "بلوغ سنّ الرّشد في الساموا Samoa" وسنة 1935 "الجنس والمزاج في ثلاث مجتمعات بدائيّة"، وسنة 1938 "النشأة في غينيا الجديدة"، نجد بأنّ اشكالية الأساسيّة التي جمعت مابين هذه الدّراسات هو ذلك التناقض بين الطبيعة/الثقافة الذي نجده في صلب إشكاليات مارغريت ميد.

ولقت بنت ميد اشكاليتها هذه على أساس الدّراسات السابقة الذي قدّمها ستانلي هال Stanly Hall المتخصّص في المراهقة في بداية القرن 20م من خلال النتائج التي توصّل اليها بانّ المراهقة تشكّل ازمة ومتاعب عديدة وهي اختبار للتحوّلات الناجمة عن البلوغ والاكتمال الجسدي وبالتّالي فهي طبيعيّة وعالميّة.

وعلى إثر ذلك طلب فرانس بواس من تلامذته التحقّق من هذا الأمر في نوع مختلف تمام عن المجتمع الذي يعيشون فيه، فاذا كان "هال" على صواب فيمكن أن نجد هذه الازمة في كلّ المجتمعات مثلما توجد عليه في و.م.أ.

فكانت ميد من بين المتسائلين حول الأزمة "العالميّة" للمراهقة، واستنادا الى الدّراسات الميدانيّة التي أجرتها في جزر الساموا وجزر الأميرال l'Amirauté التي كان التساؤل الأساسي فيها هو هل المشاكل التي تعاني منها المراهقة تعود الى طبيعة المراهقة ام الى حضارتنا؟ ففحصت المراهقة في محيطها الاجتماعي والمتمثّل في جزيرة الساموا بالإضافة الى العمل الذي قامت به في ثلاث مجموعات مختلفة في غينيا الجديدة أدّت الى اثبات انّ الاختلافات بين الجنسين ليست قائمة على الأساس البيولوجي، فأكّدت من خلال النتائج على دور

التربية أو التنشئة خاصة من جانب الاسرة في تكوين الشخصيّة، وهذه التنشئة تتمثّل في نقل ثقافة المجتمع الى الفرد.[20]

ففي جزيرة الساموا أين يعيش السّكان في أسر ممتدّة حيث يوجد العديدة من الآباء والأمّهات، تكون التنشئة الأسرية ليّنة، ففي وقت لاحق يكوّن الأطفال مجموعات لعب بحيث يعمدون الى التنشئة الذّاتيّة بعيدا عن اعين الكبار، وعلى المستوى الجنسي فهناك هامش كبير من الحريّة في سنّ البلوغ وهذا ما أدّى الى قلّة النزاعات والمتاعب والأزمات بالنسبة لهذه الفئة، وكانت النتيجة انّ ما نسبه "هال" الى الطبيعة هو في الو اقع حقيقة مشروطة من أصل ثقافي، فالقيود والتوتّرات الناتجة عن الحضارة الغربية هي أصل هذه الأزمة.

لقد دافعت ميد طوال حياتها عن هذه الفكرة وكانت الدّراسات التي أقيمت حول الجندر لاحقا امتدادا لهذه الفكرة، ولقد جعلت هذه النتائج المجال العلمي يهتزّ، كما الهمت ميد كلّ أولئك الذين يناضلون من أجل الحريّة الجنسيّة.

2.8/ روث بنيدكت: **Ruth Benedict**

ربّما كانت بنيدكت أقلّ موهبة من زميلتها ميد في الميدان ولكنّ مساهمتها النّظريّة كانت مهمّة في التيّار الفكري للانثروبولوجيا النفسيّة، ففي كتابها " Patterns of culture" سنة 1934اعتمدت على الاتّجاه التاريخي/ النفسي في دراسة الثقافات الانسانيّة، بحيث

[20] Serge Tchérkerzoff, Margaret Mead at la séxualité à la Samoa, in Openedition journals, http://journals.openedition.org/enquete/1203 ,date de parution septempre1997, p5.

أوضحت الدّراسة انّه من الضرورة النظر الى الثقافات في صورتها الاجماليّة أي كما هي في تشكيلها العام وذلك لأنّ لكلّ ثقافة مركز خاص تتمحور حوله وتشكّل نموذجا خاصّا بها يميّزها عن باقي الثقافات، ولقد قامت بنيدكت اجراء مقارنة بين ثقافات بدائيّة متعدّدة وخلصت الى أنّ هناك علاقة بين النموذج الثقافي العام ومظاهر الشخصيّة.

فأخذت كنموذج من دراستها كلّ من سكان الكواكيوتل Kwakiutl في الساحل الشمالي الغربي لامريكا الشماليّة وسكان الزوني Zuni في الجنوب الغربي الأمريكي.

وخلصت بنيدكت الى أنّ الكواكيوتل المعروفين بنظام البوتلاتش يعيشون في بيئة غنية ولهم تنظيم قبلي بدلا من تنظيم العصابة، فأعطت صفة Dionysian لهم نسبة الى إله الاغريق وهو إله الخمر والصّياح والنشوة والمأساة، فقالت بأنّ انسان كواكيوتل يسعى جاهدا للهروب من القيود وتحقيق الافراط و اقتحام نظام آخر من الخبرة، وبالتالي هم نوع من الشعب الذي يمارس الافراط في كلّ شيئ: المخدّرات والكحول/ الصيام وتعذيب النّفس والجنون.

في المقابل نجد الزّوني عبارة عن مزارعين على شكل قبائل فصنفتهم من خلال سمة نفسيّة غالبة وشبهتهم ب Apollonian وهو إله النّور والعقل والوئام والتوازن فنجد انسان الزوني غير منافس وعامل ومحبّ للسلام، فهم غير مفرطين و انّما معتدلين ووسطيّون.[21]

وبهذا تكون بنيدكت قد بينت أنماط الشخصيّة المميّزة لكلّ ثقافة.

[21] Cf.Ruth Benedict, Patterns of culture, ed Routledge, 1971, London.

2.8 / رالف لينتون: Ralph Linton (1893-1953)

أولى لينتون أهميّة بالغة للعلاقة بين بين الثقافة والشخصيّة، فركّز هو الآخر على عنصر التربية والتعلّم وبالتالي أيّد فكرة وجود أنماط شخصيّة خاصّة بكلّ ثقافة والتي يختصّ بها كلّ مجتمع.

وكذلك أكّد على مسألة التثاقف فهو يتناول الجانب المتغيّر في الثقافة من خلال الاحتكاك والتأثّر.

ففي دراسته الشّهيرة "للتثاقف" سنة 1936 يعرّفه على انّه مجموعة من الظواهر التي تنتج عن التواصل المستمر والمباشر بين الجماعات الثقافيّة المختلفة، مع التغيّرات اللاحقة في الأنماط الثقافيّة الأصليّة لإحدى الثقافتين وذلك من خلال عدّة عوامل (الهجرة، الغزو، الاستعمار)[22]، فتؤدّي الاتصالات بين الثقافتين التي قد تكون متكافئتين او قائمة على الهيمنة والتبعيّة الى مو اقف متعدّدة فيما يخصّ التثاقف ومنها: القبول الانتقائي لبعض السّمات، الاستعاب مع التعديل الهيكلي للسلوكات، الرّفض والتهرّب.

فاذا حدث اقتباس فانّه تنسب المعاني "القديمة" الى العناصر "الجديدة" وتغيّر هذه القيم المعنى الثقافي لبعض السلوكات "التقليديّة"، كما قد تحدث نوع من المقاومة للتثاقف أو نوع من الإبادة التدريجيّة للثقافة الاصليّة "إزالة الثقافة الأصلية" ممّا يؤدّي الى فقدان السّمات الأساسيّة.

[22] Cf. Clyde Kluckohn, A biographical Memoir, ed Copyright, 1958, Washington.

4.8/ ابراهام كاردينار : Abraham Kardiner (1891-1981)

أكّد هو الآخر على انّ العادات وأشكال الانضباط التي تختلف باختلاف المجتمعات والتي يتمّ اكتسابها في مرحلة الطفولة والمراهقة تعتبر حاسمة في تكوين شخصيّة الفرد وهذا ما يؤدّي الى انتشار مجموعة معيّنة من الشخصيّات، تتراوح من الحالة الطبيعيّة الى الانحراف بسب عدم التكيّف مع القاعدة أحيانا او ما يسمّى بالشخصيّة القاعديّة او الأساسيّة، وهي نمط حياة معيّن خاص بمجتمع ما يطرز عليه الأفراد اختلافاتهم الفريدة، وهذه الشخصيّة عبارة عن ميثاق تنقله المؤسّسات وخاصة الأسرة من خلال التربية.[23]

ويمكن أن نستخلص ممّا سبق بأنّ الأنثروبولوجيا الثقافيّة استندت الى الارتباط بين علم النّفس والانثروبولوجيا، فلا يمكن فهم أيّ انسان من دون الاعتبارات الثقافيّة التي ينتمي اليها، وبالتالي تظهر تأثيرات الثقافة بشكل جليّ في شخصيّة الأفراد.

[23] Géraud, opcit, p146.

VII. المحاضرة السابعة: أنثروبولوجيا الدين

1. تمهيد:

شكّل البحث والتساؤل حول المقدّس في الثقافة الرّمزية، مشكلة جوهريّة في الدّراسات الولى لعلم الأنثروبولوجيا في بداية القرن19م، الاّ أنّها لم تكن دراسات مباشرة ولا حقلية بل أخذت مجموعة من المعلومات التي أتى بها الرّحالة من كلّ مكان، بالرّغم من أنّها لم تكن تحتوي على معطيات دقيقة في التعبير عن الدّين والمعتقدات والطّقوس، السّحر والمظاهر العلويّة، الاّ أنّها اعتبرت الارهاصات الأولى لما سمّي فيما بعد بميدان الانثروبولوجيا الدّينيّة ومن بين تلك الدّراسات: جيمس فريزر: الغصن الذّهبي، ماكس مولر: تحليل الأسطورة.

أمّا الدّراسات الحقلية لم تظهر الاّ مع بداية القرن 20م مع: مالينوفسكي، براون، غيرتز.

وبالتالي أصبحت الدّراسات في هذا الحقل تأخذ موضعا مستقرّا حول المقدّس.

2. أنثروبولوجيا الدين:

نشأت الأنثروبوولوجيا الدّينيّة في النصف الثاني من القرن 19م وذلك عندما بدأ الباحثين

في تناول المقدّس في الثقافة الانسانيّة، وكانت البدايات الأولى في بداية القرن 19م من خلال دراسات غير مباشرة، أخذت من الرحّالة ولم تكن معلوماتهم دقيقة في التعبير عن الدّين والمعتقدات والطّقوس، السّحر والمظاهر العلويّة ومثال ذلك: جيمس فريزر في "الغصن الذّهبي"، ماكس مولر"تحليل الأسطورة".[24]

أمّا الدراسات الحقيقيّة الحقلية فقد عرفت بدايتها في القرن 20م مع مالينوفسكي وراد كليف براون وغيرتز، وهنا بدأ علماء الانثروبولوجيا يأخذون وضعا مستقرّا حول المقدّس، فانقسمت بين نفسيّة واجتماعيّة وحاولت أن تغطّي مجمل التفسير الثقافي حول ميل الانسان الى المقدّس واهتمام الانسان بالجو انب الميتافيزيقيّة.

فمنذ نشأتها سعت الأنثروبولوجيا الدّينيّة الى تفسير التعقيدات المتعلّقة بالظاهرة الدّينيّة، الاّ انّها اهتمت في بداياتها بأصل الاعتقاد الدّيني ثمّ توجّهت بفضل دوركايم والدّراسات الحقليّة الى دراسة الدّين المعاش.

فتعبيرات التجربة الدّينيّة هي في الوقت نفسه:

مثاليّة: معتقدات، أساطير، عقائد.

ممارسات: طقوس، حفلات، أفعال سحريّة.

وهي تختلف وتصنّف حسب اختلاف الثقافات والحقبات التاريخيّة.

[24] Cf. J, Frazer, Le Rameau d'or, traduction Lady Frazer, ed : librairie orientaliste, 1923, https://www.scribd.com/document/619706201/Frazer-Le-Rameau-d-or

ومن الوظائف المهمّة للدّين نجد:

- الوظيفة التفسيريّة: عندما تكون المعرفة التجريبيّة ناقصة.
- الوظيفة التنظيميّة: من خلال المحافظة على نظام الكون.
- الوظيفة المطمئنة: يحمي الدّين من الخوف والتّوترات النفسيّة (الايمان والامل في العدالة السماويّة).
- الوظيفة الاندماجيّة: يعمل الدّين كآلية للرقابة الاجتماعيّة، من خلال ارتباطه بأخلاق الاحترام والعقاب ومن خلال خلق مجتمع المؤمنين.

3. موضوع الانثروبولوجيا الدّينيّة:

تدرس الانثروبولوجيا الدّينيّة الانسان بصفته واضع ومستعمل للرّموز، في علاقته مع الما فوق طبيعي أو المقدّس فهي تهتمّ بالسّحر والشعوذة وأشكال التنظيم الدّيني فهي من جهة: القوى : الله، العباقرة، المانا، الأجداد، الشياطين ومن جهة أخرى الطبيعة التي تخفي قوى خارقة: الحجر، الشجر، الماء، الحيوانات، النار، الشمس... ومن جهة ثالثة الرّجال المقدّسون: ملم، قدّيس، رجل صالح، ساحر ومن جهة رابعة ما يسمّى بالعناصر الرّوحيّة للإنسان مثل: الروح، الرّوح والجسم، كلّها شكلت مرجعيات دينيّة في مختلفة الأمكنة و الأزمنة عبر التاريخ.

فالظاهرة الدّينيّة عند معظم علماء الانثروبولوجيا لا تشكّل موضوعا أنثروبولوجيا

مستقلاّ، بل الدّين يعتبر تعبيرا عن الاجتماعي عند دوركايم، وعن السّياسي عند بالونديه وهو عند فرويد مجموعة من العمليّات النفسيّة.

وبالتالي حاولت كلّ نظريّة ان تغطّي مجمل التفسير الثقافي حول ميل الانسان الى المقدّس واهتمامه بالجوانب الميتافيزيقيّة.

وبذلك يكون موضوع أنثروبولوجيا الدّين يتعلّق بالبحث حول علاقة الانسان بالعليّة (المقدس المتمثّل في الاله أو الله أو اللاّهوتي او الشيء المقدّس) وليس العكس ويتمّ ذلك كم خلال الخوض في غمارفهم وتحليل ثقافة المجتمعات والجماعات المدروسة.

وعند دراسة الدّين عبر الثقافات لا يهتمّ علماء الانثروبولوجيا بالأدوار الاجتماعيّة للدّين فحسب، بل أيضا لطبيعة ومحتوى الأفعال والاحداث والعمليّات والممارسين والمنظمات الدّينيّة، أيضا يأخذ الباحث في الاعتبار المظاهر اللّفظيّة للمعتقدات الدّينيّة مثلا: الصلوات، الأناشيد، الأذكار، الأساطير، الخرافات، الحكايات والأخلاق والمعايير.

وكذا الظواهر الخارقة التي تشمل الآلهة، الكائنات الخارقة، الاشباح والأرواح التي لا تنتمي الى العالم المّادي ولكن يعتقد أنّها تمسّ العالم المرئي وتؤثر فيه.

4. مفهوم الدّين انثروبولوجيا:

شكّل مفهوم الدّين محلّ خلاف علماء الأنثروبولوجيا، فإلى جانب أنهم لم يستطيعوا حسم ما هو ديني وما هو ليس ديني، لذلك عند دراسة أنثروبولوجيا الدّين من الصّعب الاعتماد على تعريف واحد واسع وممتدّ، فمفهوم الدّين في هذه الدّراسات نجده نسبيّا يفسّر

انطلاقا من سياقه الاجتماعي والزّمني الذي توجد فيه الظاهرة الدّينيّة، وهذا لتنوّع المرجعيّات التي التصق بها ماهو مقدّس، فيعرّفه أنطوني ولاس تعريفا شاملا: " الدّين هو مجموع المعتقدات والطّقوس المرتبطة بكائنات وقوى خارقة للطّبيعة أو مافوق طبيعيّة" [25]

5. التأصيل النظري لأصل الدين في الدراسات الأنثروبولوجية:

بعد أنّ التأسيس للأنثروبولوجيا كعلم خلال النصف الثاني من القرن 19م، في سياق فكري يهيمن عليه النّموذج التطوّري، بدأ التفكير في الظاهرة الدّينيّة وذلك من خلال أصل الدّين، فكان التركيز على الأشكال الدّينيّة الأكثر بدائيّة؟ وكيف ظهرت لتؤدّي الى الأديان العالميّة للشعوب المتحضّرة وهي الأديان التوحيديّة؟ فهذه الدّيانات تمثّل عند أغلبية الباحثين الصفة المتطوّرة للدّين، وهذا على اعتبار انّ المفكّرين الأوائل حول الظاهرة الدّينيّة كان يغلب عليهم الطّابع التطوّري، فيشرح جيمس فريزر في "الغصن الذّهبي" مسألة التطوّر الدّيني من خلال ثلاثة مراحل تقابل تطوّر المجتمع من مرحلة السّحر الى مرحلة الدّين ثمّ الى مرحلة العلم والتّي يعتبرها أرقى درجات النضج والتطوّر الاجتماعي.

ففي نهاية القرن 19م لاقت أطروحتان حول أصل الدّين نجاحا خاصا، الأولى سميت بالطبيعيّة Le Naturisme بدعم من مولر M. Muller والثانية تمثلت في الأرواحيّة لتايلور Taylor.

[25] Robert L. Welsch, Luis A, Vivanco, Cultural anthropology, Oxford university press. https://global.oup.com/us/companion.websites/9780199925728/stud/ch14/outline/#:~:text=His%20definition%20of%20religion%20became,beliefs%20together%20is%20the%20supernatural.

فيبدأ مولر الهندي وعالم اللغة، مؤسس مدرسة الأساطير انّه في ديانة الفيدا Les Véda فانّ أسماء الآلهة تدلّ على الظواهر الطّبيعيّة مثل: الشّمس، الرّيح والبرق، ويرى في ذلك دليلا على أنّ الايمان بالكائنات الخارقة تظهر انعكاساته على اللّغة ويوضّح أنّه عندما نتحدّث نساوي لغويّا الظّواهر التي نريد وصفها بالأفعال التي يقوم بها الشّخص مثلا: نقول المطر يتساقط، أو النّهار يطلع، هذا يدلّ على أنّ استبداد اللّغة جعل الشعوب الهندية تنتقل من ملاحظة جمال الطّبيعة الى التعبير المجازي ثمّ الى تجسيد هذه الرّموز الى آلهة فالاه الشّمس يطرد الظّلام ، علاوة على ذلك لطالما كان يشعر الانسان البدائي بأّنّه سحق من قبل قوى الطّبيعة، فكانت تبدو له كائنات خارقة يجب ان يعبدها، وبالتّالي فانّ مذهب الطبيعة أي تأليه الطّبيعة سيكون أوّل الأديان.[26]

أمّا مفهوم الرّوح عند مولر فتأتي في الدّرجة الثانية، فالإنسان لم يؤمن يوما بالموت الكلّي لأنّه دائما ما اعتقد بأنّ هناك شيئا خالدا بداخله، ثمّ أصبح الانسان على هذا الأساس يقدّس روح الموتى بمنحهم مكانة مماثلة لعبادة آلهة الطّبيعة وبالتالي يعتقد مولر بأنّ عبادة الاسلاف أضيفت الى عبادة الطّبيعة.

أمّا بالنسبة الى تايلور فعلى العكس من ذلك فانّ فكرة الرّوح عنده هي أساسيّة فيما يخصّ أصل الأديان، بحيث لعبت التجربة دورا حاسما في تشكيل التمثلات الدّينيّة، فأثناء الحلم يشرح تايلور أنّ هناك ازدواجيّة للإنسان وتكرارا لعالم التجربة، فبينما يظلّ الجسد مستلقيا بلا حراك ونائما، هناك بالفعل تشكيل مزدوج يتحرّك ويتصرّف بحريّة وهذا

[26] Géraud, opcit, p275-276

المجال الذّي يتحرّك فيه يكون مفصولا عن قوانين الزّمان والمكان لأنّه في الأحلام، بحيث يمكن للإنسان ان يطير ويتصفّح في زمن وجيز كلّ شيء ويلتقي بأشخاص ميتين كذلك أو يصبح طفلا والرّوح تكون قادرة على الرّجوع في أي وقت وبمأنّ كلّ شيء في الطبيعة يحمل روحا فيعتقد تايلور بأن الرّوحانية هي أولى أشكال العبادة والتي تختصّ بها المجتمعات البدائيّة مثلها مثل الطّفل الذي يكون في سنّ مبكّرة ويضع الرّوح في الألعاب.[27]

وعلى هذا الأساس وضع تايلور أوّ لتعريف للدّين في كتابه "الثقافة البدائيّة" سنة 1871 كالتالي: "الدّين هو الايمان بأشياء الرّوحيّة".

وبهذا فانّ الإشكالية الأساسيّة التي بنى عليها روّاد المدرسة التطوّرية تصوّراتهم لأصل الأديان تمركزت حول النظرة الاثنومركزيّة والتحقيريّة للمجتمعات "البدائيّة" التي اعتبروها في أدنى مراكز التفكير وفي بحثهم عن أصل الظاهرة الدّينيّة أهملوا البعد الاجتماعي للدّين الذّي تطلّب التطرّق اليه قفزة نوعيّة في الدّراسات الانثروبولوجية حول الدّين.

6. الدّين كظاهرة اجتماعيّة:

منذ السّطور الأولى من كتابه "الاشكال الاوليّة للحياة الدّينيّة" تبيّن بأن دوركايم دحض النظريّة التطوّرية وقال بأنّ الانسان البدائيّ ليس طفلا بل هو مثل الرّجل الحديث، وأنّ النظرة التايلورية فيها شيء من التمادي لأنّ حتى الحيوان يفرّق بين ما هو جماد وما هو حيّ.

[27] نفس المرجع، ص276-277.

ولم يكن هدف دوركايم البحث حول أصل الدّين ولكنه عمد الى البحث حول مواصفات الدّيني وماهي مميّزاته في مختلف المجتمعات البشريّة مثله مثل السّياسي والاقتصادي، وهنا بدأت الأنثروبولوجيا الدّينيّة تصقل موضوعها، فقد حدّد دوركايم بأنّ الظاهرة الدّينيّة تقسّم الأشياء والكائنات الى بعد ديني "مقدّس" وبعد دنيوي "مدنّس"، فالحياة الاجتماعيّة لها بعد رمزي جوهري يشكّل الضمير المشترك والوعي الجماعي ويؤدّي الى التماسك ومثال المجتمعات البدائيّة هو الطّوطم، وعلى هذا الأساس وضع دوركايم تعريفه للدّين سنة 1912 بأنّ "الدّين يمكن اعتباره مجموعة موحدة من المعتقدات والممارسات المتعلّقة بالأشياء المقدّسة، أي الأشياء التي يتمّ تعيينها".[28]

فيؤكّد دوركايم بانّ الحياة الاجتماعيّة من جميع جوانبها وفي جميع الأوقات في تاريخها تكون ممكنة فقط بفضل الرّمزيّة، فالظّاهرة الدّينيّة قادرة على أداء وظيفة التكامل الاجتماعي.

• 7 التمثلات الاجتماعية للدين حسب دوركايم:

صاغ دوركايم في كتابه "الأشكال الأوّلية للحياة الدّينيّة" مجموعة من المفاهيم الأساسيّة والتي تعبّرعن تمثّلات وتجسيدات الظاهرة الدّينيّة على مستوى المجتمع ومن اهمّها:

1.7/ المانا: بالّغة الميلانيزيّة تعني قوّة غير شخصيّة وخارقة للطّبيعة يتمّ ملاحظتها في شيء

[28]لمزيد من الاطلاع أنظر، ايميل دوركايم، الأشكال الأوليّة للحياة الدّينيّة، تر: رندة بعث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019، بيروت

عظيم يثير الدّهشة والرّعب والاعجاب، هذه الفكرة المرادفة لكلمة "البركة" والسّلطة والقوّة الفعالة وتكون امّا اتجاه السّحر مثلا او الطوطميّة.

2.7/ الطوطم: فئات نباتيّة أو حيوانيّة أو ميزات جغرافيّة تستخدم لإعطاء اسم لعشيرة ما ومن يأتي من الأجيال يعبد الاسلاف أي أسلاف العشيرة والطوطم هو مصدر حظر بعض الأطعمة فلا يؤكل الحيوان الطّوطمي ولا يتزوّج من ينتمون الى نفس الطّوطم، فهو يرمز الى الهويّة المشتركة، وعند تجمّع النّاس تستخدم الطّقوس الخاصّة بالطوطم للحفاظ على الوحدة الاجتماعيّة.

3.7/ السّحر: يشير السّحر الى تقنيات خارقة للطبيعة تهدف الى تحقيق أهداف محدّدة، ويتضمّن السّحر التعاويذ، كما يستخدم السّحرة أحيانا منتجات الجسم: الأظافر والشعر، بحيث نجد السّحر في الثقافات ذات المعتقدات الدّينيّة المتنوّعة، ويمكن للسّحر أن يرتبط بالرّوحانيّة، المانا وتعدّد الآلهة.

4.7/ الطّقوس: مجموعة من الأفعال والممارسات المتكرّرة والمقنّنة، تكون لفظية أو ايمائيّة وذات شحنة رمزيّة قويّة.

يميّز مارسال موس بين الطّقوس الايجابيّة: الصّلاة والتضحية مثلا وبين الطّقوس السّلبيّة كالمحرّمات الجنسيّة والطعام والزّهد وهي طقوس تمنع التواصل، ويضيف دوركايم الى ذلك طقوس الكفّارة والتطهير الرّوحي التي تهدف الى التحرّر والتخلص من النجاسة، ففي

الحداد مثلا يكون بالماء والنّار، أو الأضحية للتكفير عن أخطاء الجماعة.[29]

وللطقوس عدّة أهداف منها: طلب المطر، الخصوبة، الشكر بعد الولادة، الحصاد، النجاح في الحرب أو احياء ذكرى.

فنلاحظ بأنّ الطقس كممارسة تدخل ضمن الدّيني لكن وظيفتها غالبا ما تكون اجتماعيّة، وهذا ما سعى روّاد المدرسة الشّموليّة الى اثباته.

فأعضاء المجتمع متحدون لأنّهم يشتركون في نفس الايمان، فيذكر مارسال موس بأنّه في السّحر مثلا هناك اتفاق بين السّحرة والعملاء ولكن لا أحد منهم يشعر أنّه مرتبط بالآخر مثلما هو الحال في الدّين، فالسّحر لا يكوّن مجتمعا وانّما زبائن، السّحر عمل فردي والدّين فعل اجتماعي.

8. الدّين، الرمز والمنظومة الفكرية: الطوطم والأسطورة:

على اعتبار ما سبق ذكره فانّ ديانات المجتمعات "القديمة" التي كانت محلّ دراسة الانثروبولوجيّين، كالاستراليين الأصليين مثلا التي كانت الطّقوس الدّينيّة فيها تخدم الوظيفة الاجتماعيّة في خلق تضامن بين أفراد القبيلة وذلك من أجل تشكيل جماعة واحدة.

والطوطم الذّي كان عبارة عن حيوانات أو نباتات أو سمات جغرافيّة، تعتقد الجماعة انّها تنحدر من نسله وبالتالي فانّ كلّ قبيلة لها طوطم الخاص الذّي يميّزها عن غيرها وهو من

[29]Cf. Martine Segalen, Rites et rituels contemporains, ed : Armand Colin, 2017, Paris.

يصنع هويّتها، وفي هذا المستوى فانّ الطوطم لا ينحصر على الوظيفة الاجتماعيّة فحسب وانّما هو كذلك رمز من الرّموز المقدّسة التي ترمز الى الهويّة المشتركة داخل القبيلة والى الاختلافات الاجتماعيّة بين مختلف القبائل التي تنتمي الى طواطم مختلفة، ورمزيّة الديانة الطوطميّة تكمن في استخدام الطّبيعة كنموذج للمجتمع، فالتنوّع الموجود في الطّبيعة بين الأصناف الحيوانيّة أو النّباتيّة يصبح نموذجا للاختلاف الاجتماعي، بحيث ذكر ليفي ستروس Levi Strauss في كتابه "الفكر المتوحّش"La pensée sauvage" 1962" بأنّ البنية الذّهنية للتصنيف جعلت الانسان يصف انطلاقا من الاختلافات الموجودة في الطّبيعة لأنّه ليس في جعبته الآ هي".

وبالتالي فانّ العشيرة التي يكون طوطمها حيوان الأرنب مثلا والعشيرة التي يكون طوطمها سلحفاة لا تشبه هتان القبيلتان هذان الحيوانيين في شيء وانّما في الخصائص التي يختلف فيها حيوان الأرنب عن حيوان السلحفاة.

وبهذا فانّ ليفي ستروس في تحليله للديانة الطوطميّة من خلال الدراسة المذكورة سابقا اضافة الى دراسة اخرى عنونها ب "الطوطميّة اليوم" «Le totémisme aujourd'hui» يكون قد انتقل من دراسة التنظيمات الاجتماعيّة للشّعوب "البدائيّة" الى انظمة تفكيرها من خلال الأساطير والسحر والطوطم والشعوذة، ويؤكّد انّه لتفسير هذه الظواهر يجب معرفة هذه التصنيفات والمعنى المعطى لكلّ حيوان اونبات.

وبذلك أظهر ستروس بأن فكر الانسان "البدائي" لا يختلف عن المتحضّر، لكنّ تلك الشّعوب تفكّر بطريقة مختلفة فقط، وتختلف رموزها عن رموز المجتمعات الحديثة.

فالظاهرة الدّينيّة هي احدى الرّموز التي تعبّر عن تنظيم المجتمع وعن التفاعلات الاجتماعيّة، فالأساطير تعتبر نظاما غنيّا للرّموز وهي تحمل معاني عميقة حول المجتمع.

فلقد ساهم التحليل البنيوي عند ليفي ستروس في دراسة الأسطورة الى اكتشاف الصّفات والقدرات العقلية المتشابهة و المشتركة بين كلّ البشر، من خلال التصوّرات الدّينيّة فهناك خصائص معيّنة تنشأ في سمات دماغ "الانسان العاقل" وهذه الهياكل العقليّة المشتركة، تدفع النّاس في كلّ مكان الى التفكير بطريقة مماثلة بغضّ النظر عن مجتمعهم او خلفيتهم الثقافيّة ومن بين هذه الخصائص الحاجة الى التصنيف: الحاجة الى فرض نظام على الطبيعة وعلى علاقة النّاس مع الطبيعة وعلى علاقة الناس ببعضهم البعض ومن امثلة التصنيف: الخير والشر، الابيض والاسود، الذكر والانثى وهي تناقضات تعكس حاجة الانسان لتحويل الفروق في الدرجة الى اختلافات في النّوع، وهذا التصنيف يلجأ اليه الانسان بغرض الاتصال، فتستعمل هذه التصنيفات ضمن مضامين مختلفة من اجل التعبير عن التصوّرات الدّينية المتمثلة في الاسطورة والتي كانت في الأصل أسطورة واحدة سمّاها ستروس المعادلة الأم للأساطير والتي يضيف اليها الانسان بعض التصنيفات الخاصة بثقافته فتصبح تعبّر عن منظومته الفكرية و الثقافيّة و حتى الاجتماعيّة، فتظهر أشكال عديدة للأساطير مع مضامين متبدّلة.[30]

فالأسطورة تحتوي على لبنات بناء بسيطة او هياكل اوّلية سمّها "الميثيم" يمكن تحويلها الى قصّة او أسطورة أخرى من خلال عمليّات بسيطة مثلا:

[30] M.Segalen, Ibid, p28.

- تحويل العنصر الايجابي من الأسطورة الى عنصر سلبي.

- الترتيب العكسي للعناصر.

- استبدال الذكر البطل بأنثى.

- الحفاظ على بعض العناصر الأساسيّة او تكرارها.[31]

فمن خلال هذه العمليّات يمكن اظهار نوعين من الأساطير المتباينة ظاهريّا مثلا: تحليل ليفي ستروس لقصّة "ساندريلا" وهي اسطورة واسعة الانتشار تتنوّع عناصرها بين الثقافات المجاورة من خلال الانتكاسات والمعارضات والنّفي، وبذلك يتم سرد و اعادة سرد القصّة ودمجها ونشرها في تقاليد المجتمعات المتعاقبة، فتظهر نسخ اخرى مثل "آش بوي" «Ash Boy» فتظهر على انّها قصّة مختلفة بعد سلسلة من التناقضات المتعلّقة بالتغيير في جنس البطل مثلا.

وبالرّغم من انّ الدّراسات المتعلّقة بالظاهرة الدّينيّة في شطرها المتعلّق بالأساطير قد طبّقت على المجتمعات "البدائيّة" الاّ انّه يمكننا استخدامها كذلك لدراسة مجتمعاتنا المعاصرة، وذلك على اعتبار انّها تدخل ضمن الرّموز التي يعطيها الانسان في كلّ زمان ومكان بغضّ النظر عن عصره ومستواه الحضاري، فالبنى العقلية للإنسان كلّها واحدة.

فالأسطورة المتمثلة في الطوطم تعكس نظام اجتماعي معيّن في المجتمعات

[31] Conrad Phillip Kottak, Ibid, p342.

"البدائيّة" يتمثّل في تحريم الزّواج من نفس الطوطم وهو ترجمة لتحريم زنا المحارم عبر قوانين في الدّول الحديثة.

9. الدّين كنظام رمزي: الاسلام ملاحظا عند غيرتز C.Geertz:

الدّين بالنسبة لغيرتز نظام ثقافي، يعكس مجموع التفسيرات والتأويلات التي يعطيها أفراد مجتمع معيّن والتي يصبغون عليها تجاربهم الخارجيّة التي تحتوي على الأحداث التي يعيشونها. ولدراسة الظواهر الثقافية على الباحث أن يتقيّد بتلك المعاني التي يعطيها لها الفاعلون. وهي عبارة عن رموز، فالرّمزية هي الصفة الأساسيّة للثقافي، وتنتقل هذه الرّموز عبر التاريخ من خلال توارث الأجيال لها[32].

فالرّموز في معانيها المشتركة تتجاوز الفرد، فالدّين المتمثّل في مجموع المعتقدات والطّقوس هي التي توجّه الحياة الشخصيّة الذاتية للأفراد مثلا، هذه الأشياء الخاصّة بالدّين هي عبارة عن رموز يستعملها المؤمنين من أجل التعبير في الواقع[33].

وتنعكس كلّ هذه التصوّرات على الجانب العملي والفعلي للمجتمع من خلال علومه ومؤسساته وأخلاقه.... فالدّين يحتوي على وجهين الأوّل يتعلّق بالرّموز المستعملة لتأويل التجربة "نظرة مجتمع اتجاه شيء ما" والوجه الثاني يتعلّق بتوجيه الفعل،

[32] C. Geertz, La religion comme système culturel, Ed Gallimard, 1972, p20.

[33]Lahouari Addi, Lionel Obadia, C. Geertz interprétation et culture, Ed des archives contemporains, Paris, 2010, p120.

الدّين من جهة منى ومن جهة أخرى فعل.

لذلك أكّد غيرتز بضرورة دراسة الظاهرة الدّينيّة ضمن نسقها المفاهيمي او الثقافي والاجتماعي الموجودة فيه. ويتطلّب ذلك اجرائيا من طرف عالم الانثروبولوجيا تتبّع السّلوك وفهمه من حيث رمزيته وتعبيراته. وبذلك أسّس غيرتز لدراسة الدّين علميا بعيدا النظرة اللّاهوتية.

وعلى هذا الأساس أسقط نظريّته على دراسة بعض المجتمعات الاسلاميّة التي جمعها في كتابه "الاسلام ملاحظا" سنة 1968 ووقع الاختيار على بلدين يقعان في الأطراف الشرقيّة والغربية من العالم الاسلامي: اندونيسيا والمغرب، بحيث اهتمّ بالخصائص التاريخيّة والثقافيّة التي جعلت من الاسلام كممارسة دينيّة يتخذ أشكالا مختلفة في كلا البلدين بالرّغم من أنّ دين واحد فيظهر الاسلام في شكل يتعلّق بتقديس الأولياء كما سمّاها المرابطيّة أمّا الدّين الاندونيسي فهو توفيقي ومتعدّد الأوجه ويرجع ذلك الى تأثير الهندوسيّة الى غاية القرن الرابع عشر[34].

فعمل غيرتز من خلال الملاحظة المكثّفة بالكشف عن النماذج التي اتخذها الاسلام ومدى تكيّفها مع الحداثة، ومن ثمّة تطرّق الى عديد الاحداث والمظاهر التي أثرت على الاسلام في هذين البلدين، من بينها الهيمنة الغربية، وتعدّد المذاهب الاسلاميّة والاستعمار وظهور القوميّة الوطنيّة، ومنها تطرّق غيرتز الى مسألتين مهمتين تتعلّقان بأسلمة الحداثة وتحديث الاسلام، ولقد تظهر احداهما عمليّا او فعليّا في سلوك

[34] Hassan Rachik, L'esprit du terrain, Chapitre33. Islam marocain,de la généralisation chez Geertz,pp525-539.

المسلم عندما تتناقض الحياة الدّينيّة والحياة اليوميّة وذلك يرجع كما يفسّر غيرتز الى تراجع الرّموز الدّينيّة لصالح التعدّدية الدّلالية للمجتمعات المعاصرة.[35]

بالرّغم من انّ الدّراسات التي قدّمها غيرتز حول الاسلام قد لاقت الكثير من الانتقادات لكون البعض قد رأى فيها بقايا للنظرة الاثنومركزيّة او التحقيريّة تارة أخرى، الاّ أن المقاربة المنهجيّة لاتي جاء بها لدراسة الدّين داخل المجتمعات تعدّ فريدة من نوعها، كونه انطلق من الوصف المكثّف لتسجيل ملاحظاته في المجتمعات المدروسة، كما اعطى اولويّة لفهم الثقافات المحليّة لتفسير وتأويل الظواهر الملاحظة وهذا ما أسماه المنهج من الدّاخل Emic أي من وجهة النظر الثقافة المحليّة وبالتالي اعطاء اعتبار للسياق الذّي يجري فيه الفعل ممّا يسمح بنظرة تأويليّة لكلّ رموز الثقافة.

[35] محمد ابراهيم صالحي، الدّين بوصفه شبكة دلاليّة، مقاربة غيرتز، ترجمة: مصطفى مرضي مجلة انسانيّات، العدد 50، السنة:2010.

VIII. المحاضرة الثامنة: أنثروبولوجيا القرابة

1. تمهيد:

تعتبر القرابة موضوعا انثروبولوجيا بامتياز، فلقد اهتمّت الدّراسات الاولى في علم الانثروبولوجيا بميدان القرابة، بالرّغم من أنّ الميدان يبدو وكأنّ له علاقة مباشرة مع علم البيولوجيا الاّ انّ الأبحاث الأنثروبولوجية مكّنت من الكشف عن الوجه الثاني لهذا النظام وهو الجانب الثقافي والاجتماعي.

فالعلاقات القرابيّة تظهر على انّها طبيعيّة مثلا علاقة الأب/ الابن تعتبر فيزيولوجيّة الاّ أنّها تحمل كذلك أبعادا ثقافية تحدّد من خلالها الواجبات والقواعد التي يتضمن تناقل الممتلكات في بعض المجتمعات كما انّها تدخل ضمن جزء من تنشئة الأفراد و تساهم هذه العلاقة القرابيّة كذلك في اعادة انتاج النّظام الاجتماعي "الأبوي مثلا".

اذن هناك دائما علاقة بين ماهو بيولوجي وما هو اجتماعي وثقافي وهذا ما سوف نتطرّق اليه ضمن هذه المحاضرة.

2. الدراسات الاولى للقرابة:

من اجل تصوّر الرّوابط بين أنظمة الأقارب وأنواع الأسر، طبّق معظم علماء

الانثروبولوجيا انماطا من التحليلات التّاريخيّة "التطوّرية" التي تصوّر انتقال المجتمعات المدروسة من العصور المتوحشّة الى الحديثة.

ومن ضمن هذه الأعمال نجد دراسة ماكلينان McLennan سنة1865 "الزواج البدائي" « Primitive mariage » ولكنّ هذه الدّراسة تبقى متواضعة المعالم أمام دراسة لويس مورغانL.Morgan سنة 1871: Systems of consanguinity and affinity of the human family"

فمن الشّائع أنّ مورغان هو أوّل من استعمل مفهوم القرابة، بحيث اعتبرت هذه الأخيرة منذ ذلك الوقت الموضوع المميّز للأنثروبولوجيا، وشملت الدّراسات المجتمعات التي كانت تعيش على الصّيد والالتقاط وكانت أنظمتها قائمة بشكل أساسي على القرابة، وكانت جزر الهاوي في الهند أحد المجتمعات التي طبّق عليها مورغان تصوّره لنظام القرابة وهذا بناء على القاعدة التطوّرية على اعتبار بأنّ كلّ المجتمعات الانسانية مهما كان شكلها و نوعها تتطوّر عبر مسار خطّي من التوحّش أو الهمجيّة الى البربريّة ثمّ الى المدنيّة و ينطبق هذا المسار على كافّة مظاهر الحياة و يعتبر نظام الزّواج والقرابة واحدا منها، فتنتقل الجماعة من حياة الاباحيّة التي لا تحكمها قوانين الى الحالة البربريّة التي تتميّز بالعائلة الدّمويّة التي يتزوّج فيها الاخوة مع أخواتهم الى الحالة المدنيّة أين ظهر فيها الزّواج الأحادي أي زواج الرّجل بامرأة واحدة، والذّي يصفه مورغان على أنّه زواج على شاكلة المجتمع الغربي الحديث والمتمدّن وهو أرقى أنواع الزّواج كما يذكر.

وعلى مسار مورغان سار معظم علماء الأنثروبولوجيا في دراسة الظاهرة القرابيّة، فمثلا واستارمارك Westermarck 1926 في كتابه "Short history of mariage" والذي اعتمد فيه على نموذج المقارنة بين "المجتمع" الحيواني والانساني وخالف مورغان في اعتبار الزّواج الأحادي هو أولى أشكال الزّواج واستعمل في حججه وبراهينه الغريزة الحيوانيّة التي تنزع الى الزّواج بأنثى واحدة واعتبر كلّ الأشكال الأخرى من الزّواج التي ظهرت في المجتمعات مجرّد استثناء.

أمّا عالم الأنثروبولوجيا مالينوفسكي فقد ابتعد عن التطوّرية و أنتج تقاليد بحثيّة جديدة "الملاحظة بالمشاركة"، وبمأنّ المجتمعات "التقليديّة" كانت قائمة على نظام القرابة فلقد اعطى مالينوفسكي اهميّة فائقة لهذا النّظام، على اعتبار أنّ مكانة الفرد في هذه المجتمعات تتحدّد انطلاقا من موضعه داخل نظام القرابة والذّي يحدّد وظيفته الاجتماعيّة ومن أبرز هذه الدراسات دراسته في جزر التروبرياند، بحيث استنتج بأنّ دور الأب يقتصر على الجانب البيولوجي المتمثّل في الإنجاب، فعلاقة الأبوّة/ البنوّة ليست حتميّة و انّما يمكن ان تكون علاقة اجتماعيّة يصنعها الخال مثلا.

وتمركز جلّ الدّراسات المتعلّقة بالمجتمعات "التقليديّة" حول القرابة دليل على انّ العلاقات القرابيّة كانت في مركز هذه المجتمعات، وهذا لايدلّ بأنّها معدومة في المجتمعات الحديثة و انّما تتقلّص دائرتها وتكمّل بالعلاقات المهنيّة والصداقات.

كما تظهر اطر جديدة للقرابة في المجتمعات الحديثة يمكن الاطّلاع عليها من خلال

دراسة [36]« M. Godelier»

3. مفهوم القرابة:

لقد ورد في كتابات بعض علماء الانثروبولوجيا الذّين اهتمّوا بدراسة نظم القرابة العديد من التعاريف الخاصّة بهذا المفهوم وذلك على اختلاف توجّهاتهم النّظريّة أو نتائج دراساتهم الميدانيّة، فكلّ تعريف يعكس سياق وجوده أو دراسته لذلك فانّ توظيف التعريفات الخاصّة بالمفاهيم المدروسة في العلوم الاجتماعيّة بصفة عامّة يبقى اجرائيّا.

وفيما يلي يمكن أن نقدّم مجموعة من التعاريف الخاصّة بمفهوم القرابة والتي قد تتوافق في بعض الاحيان وتختلف في احيان أخرى.

فهناك من أرجعها الى أصلها البيولوجي أو الاجتماعي وتارة الثقافي والنّفسي، وفيما يلي بعض التعريفات المتنوّعة:

يعتبر مورغان القرابة تخضع الى أسس قواعد الزّواج والميراث وبالتالي عرّفها على أساس القرابة الأحادية التي تكون امّا أمومية أو أبويّة والثنائيّة المبنيّة على اتباع نسب الأم والأب.

أما بالنسبة لمالينوفسكي في دراسته لجزر التروبرياند فالقرابة بالنسبة لهؤلاء تتجسّد في الاسرة التي تؤدّي وظائف نفسيّة واجتماعيّة مهمّة كما انّ القرابة

[36] M.Godelier, Métamorphoses de la parenté, Ed Fayard,2004, France.

تساهم في اشباع الحاجات العاطفيّة.

أمّا ليفي ستروس فانّ القرابة عبارة عن أنظمة تصنيف اجتماعي تعكس الهياكل المعرفية للعقل البشري في كلّ زمان ومكان فهي واحدة في كلّ المجتمعات الاّ أنّ التصنيف هو الذّي يجعلها تبدو مختلفة و" غير عقلانيّة" أحيانا.[37]

كما عرّف دوركايم القرابة بأنّها علاقة تتجاوز الرّابط الدّموي، فهي علاقة اجتماعيّة تخضع للواجبات القانونيّة والأخلاقيّة[38] وذلك من منطلق أنّ دوركايم كان شموليّ التوجّه.

كما يعرّفها مارشال سالينز Sahlins بأنّها شبكة علائقيّة بين الاشخاص والمجموعات الذّين يتعرّفون على بعضهم من خلال توحّدهم في كائن مشترك.[39]

ومن خلال كلّ هذه التعاريف يمكن ان نصيغ تعريفا شملا نجمل من خلاله جميع الفئات الدّلاليّة للقرابة.

فتعرّف القرابة على أنها مجموع الرّوابط التي تكون إما وراثيّة أو اختياريّة فالأولى تتعلّق بعلاقات الأبوّة والبنوّة أو الانحدار من جدّ مشترك أي النّسب وهي العلاقة بين الأصول والأجداد إضافة إلى العلاقة بين الإخوة والأخوات، وهذا ما يعرف بصلة

[37] Cf. Philippe Tolra, Jean Pierre Warnier, Ethnologie Anthropologie, ed :PUF, Paris, 1993.

[38] Emilie Martin, Anthropologie de la parenté, mémoire d'études supérieures, univ Montréal, Novembre2014.

[39] Enric Porqueres, Parenté et Biotechnologies, in journal des anthropologues 144-154, 2016 p37.

الدّم وهي علاقات إما ذات طابع بيولوجي تتمثّل في مشاركة الحمض النّووي[40]. فقد تتفكّك الأسرة أو العائلة بينما يستمرّ نظام القرابة الدّمويّة، كما أنّ القرابة قد تظهر بشكل آخر بعيدا عن الوراثة البيولوجيّة وتتمثّل في القرابة "الوهميّة" قد تعبّر عن علاقة النسب أو البنوّة لا تتطابق أو لا تتوافق مع العلاقة البيولوجية لأنها علاقة اجتماعية ومن أمثلة ذلك: التبنّي، الكفالة، رفقاء التنشئة عند المربيّة، الإخوة من الرّضاعة عند المسلمين وعند هنود الاسكيمو كلمة قرابة تدلّ على التشارك في نفس المرأة، النسب الذّي يعود إلى الطوطم المشترك عند الاستراليين الأصليين وقد تكون العلاقة الدّموية بيولوجيّة لكنّها لا تتوافق اجتماعيّا أو ثقافيا مثلا: الأبناء غير الشرعيين الذّي ينتجون من علاقة خارج إطار الزّواج لا يتمّ الاعتراف بهم كأبناء في العديد من المجتمعات، فتسميات القرابة لها أهمية كبيرة لأنها تعكس السلوكيّات الاجتماعيّة.

فمن النّاحية البيولوجيّة القرابة نتاج طبيعي ولكنها كذلك تتجسّد في شكل روابط قانونيّة وأخلاقية لانّ المجتمع يرجع التمثّلات الفكريّة الخاصّة بنظام القرابة إلى قيود ومعايير اجتماعيّة وثقافيّة.

أمّا القرابة من النّوع الثاني فهي اختياريّة وتتمّ عن طريق الزّواج أو ما يعرف أنثروبولوجيا بالتّحالف وتتشكّل في القرابة عن طريق المصاهرة، الناتجة عن اتّحاد شخصين من الجنسين، كما تشير إلى غريزة الإنجاب، فالإنسان يتميّز عن الحيوان

[40] Marie Odile Régaud, Les notions clés de l'ethnologie,

في أنّ هذا الارتباط البيولوجي يؤدّي إلى علاقة اجتماعيّة مستقرّة نسبيا، فعلاقات القرابة ممأسسة والزّواج مؤسّسة اجتماعيّة لا تنحصر في إنجاب الأبناء فقط أو العلاقات الجنسيّة ولكّن له معنى اقتصادي "الأسرة تشكّل وحدة إنتاجية" ومعنى سوسيولوجي "نسج العلاقات بين الأسرتين".

ونستنتج من كلّ هذا بأنّ القرابة علاقة اجتماعيّة وثقافيّة فهي ليست دائما بيولوجيّة.

4. أنثروبولوجيا الزواج الخارجي والاسرة:

كيف تكوّنت الأسرة؟ أليس من الضروري أن نعرف الأصل الانثروبولوجي لها؟ هل ظهرت الى الوجود على نحو تلقائي أو هناك سبب لوجودها؟

أنثروبولوجيا قدّم ليفي ستروس الأسباب الرّئيسيّة لظهور الزّواج الخارجي وبالتالي الاسرة، ففي تحليله للألفاظ (أم، أب، أبناء) وجد ستروس بأنّها نتيجة لوجود اتصال أو علاقة من نوع ما وهذا ما شكّل قاعدة شكليّة لظهور الأسرة

فكيف تتحقق هذه العلاقة؟

يشرح ستروس بأنّ هذه العلاقة ناتجة عن عمليّة التبادل الكامنة في الانسان، وهذا ما أدّى الى قاعدة تبادل النّساء بحيث يقوم الشخص بإعطاء امرأة الى رجل خارجي ليتزوّجها في سبيل أن يأخذ هو كذلك امرأة خارجيّة ليتزوّجها، ويضيف الشخص بأنّ ذلك الشخص هو الأخ الذي أعطاه ستروس صفة الخال طبقا لنظام القرابة،

فهو الذّي يتنازل عن امرأة "أخته" يهبها الى ذلك الرّجل ليكوّن أولاد، فالخال هو البنية الأساسيّة لوحدات الأسرة وهي أساس العلاقة بين الوحدات.

ولقد استنتج ستروس بأنّ البنية الخالية هي بنية عامّة موجودة في كلّ المجتمعات فأي مجتمع يقوم على قاعدة "تحريم زواج القربى" ولقد صاغ ليفي ستروس نظريّته حول أصل الزّواج الخارجي في كتابه " البنى الأوليّة للقرابة" سنة 1949 والتّي كان لها عظيم الأثر في الدّراسات الانثروبولوجيّة حول القرابة، بحيث أثار ستروس ظاهرة سفاح القربى «La prohibition de l'inceste» وبيّن أهمّيتها من حيث أنّها تسمح للأفراد بإقامة علاقات مع المجموعات الخارجيّة وهذا ما شجّع التحالف بين الأفراد، وقدّم ستروس سفاح القربى على أنّها ظاهرة ثابتة ومشتركة في جميع المجتمعات.[41]

فحاجة المجتمعات الى خلق تعاقد فيما بينها هي التي خلقت الزّواج الخارجي، كما أنّ تجنّب زواج القربى يفسّره ستروس من خلال البنى العقلية الكامنة في عقل الانسان، والتي جعلت الزواج الخارجي خاضعا لقاعدة الهبة، فتبادل النّساء هو النموذج الأصلي للتبادل الذي تتضمنه العمليّات العقلية المنطقيّة مثل: الازدواجيّة، التناوب، المعارضة، التناظر وهي قدرات لا واعية في العقل البشري بحيث يتم التبادل بطريقة لا واعية، فاقترح ستروس إعادة تركيز القرابة على نظام التحالف.

[41] Cf. Claude Levi Strauss, Les structures élémentaires de la parenté, ed : Mouton de gruyter, 3 ed,2002, New york.

5. بعض مصطلحات القرابة:

بالرّغم من أنّ القرابة تعتبر حقيقة ثابتة وعالميّة في كلّ المجتمعات كما جاء على لسان ليفي ستروس الاّ أنّ المؤسّسات والفئات الدّلاليّة التي تعطيها الشّكل تختلف، والهدف من أنثروبولوجيا القرابة هو تفسير هذا التّنوّع.

1.5/ النسب la filiation: وتعرف في الأنثروبولوجيا البريطانيّة الانتساب descendance: ويعرّفها.H. Rivers على أنها مجموعة القواعد التي تحدّد الهويّة الاجتماعيّة للطفل بالنسبة إلى الأصل، وهي التّي تحدّد تراتبيّة أعضاء الأسرة: الميراث، نقل المهام والوظائف، تقسيم الهيمنة والسّلطة.

ويكون النّسب أحاديا أو ثنائيا على حسب المجتمعات ومدى انتماء الطّفل الى أحد الوالدين ا والى كليهما، فإذا كانت كلّ الحقوق الاجتماعيّة، التراتبيّة، الاسم، الدّين، الأجداد والممتلكات موروثة من الأب فالمجتمع يكون أبوي Patrilinéaire وهو مثال المجتمعات العربيّة.

أمّا عندما يكون المجتمع اومومي فانّ الخال له سلطة على أبناء أخته وهو حال مجتمعات التروبرياند التي درسها مالينوفسكي.

2.5/ التحالف:L'alliance :

رابط تعاقد يجمع بين مجموعتين خارجيتين من خلال زواج أحد أعضاء المجموعتين والتّحالف يجمع فردين من جنسين مختلفين من خلال حزمة من

القوانين والالتزامات المشتركة والمتغيّرة من ثقافة إلى أخرى، ويعتبرها الانثروبولوجي ستروس الظاهرة الأساسية لبناء القرابة، وهي تضمّ مسارات البنوّة أو النسب، السّكن المشترك، الاسم، الميراث، المواقف، تأسيس روابط اجتماعيّة، قانونيّة و اقتصاديّة بين جماعة انتماء الزّوج والزّوجة.

3.5/ ابناء العمومة المتوازية والمتقاطعة: Les cousins parallèles et les Cousins croisés

يشكّل الفرق بين أبناء العمومة الموازية والمتقاطعة دورا أساسيّا في بعض المجتمعات والثّقافات لأنّه يؤثّر على الزّواج.

الأقارب الموازية: هم أبناء عائلة أخت الأمّ أو عائلة شقيق الأب، فأبناء العمومة المتوازية يأتون من نفس جنس الوالدين "أبناء اخوة الاب" أو "أبناء أخت الأم".

معظم المجتمعات تعتبر الزّواج من أبناء العمومة الموازية من المحرّمات.

الاقارب المتقاطعة: هم أقرباء من الجنس المخالف لجنس الوالدين مثلا "أبناء أخت الأب" و "أبناء أخ الأمّ"

والمخطّط التالي يبيّن أبناء العمومة المتوازية والمتعاقبة.

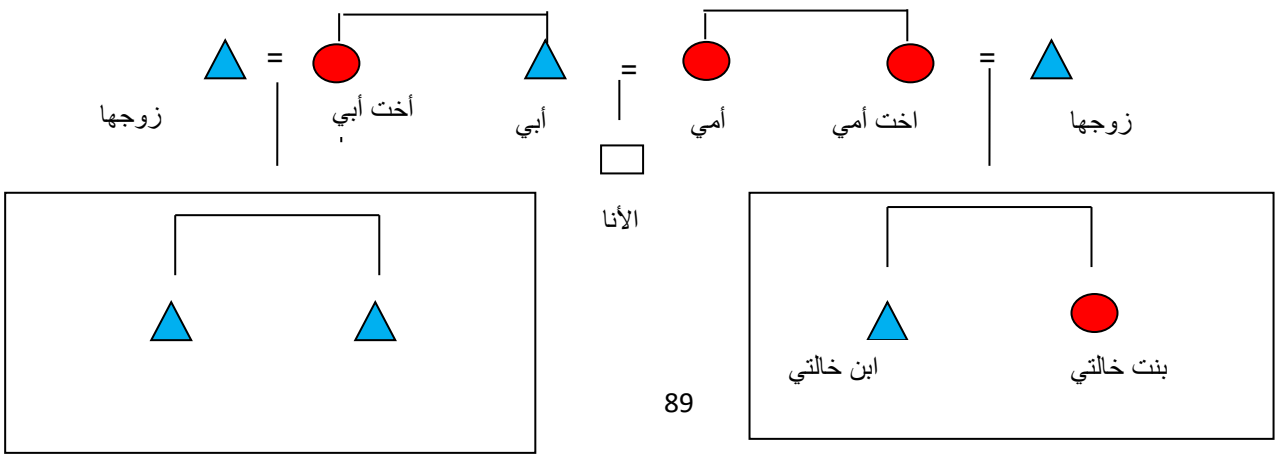

أبناء العمومة المتوازية أبناء العمومة المتقاطعة

4.5/ العشيرة :Le Clan

مجموعة من الأفراد ينحدون من نسب واحد، ولهم جدّ مشترك ويكون النسب امّا عن طريق الاب او الأم ولا يكون مزدوجا.

5.5/ القبيلة:La Tribu

مجموعة من الأفراد تقطن بقعة جغرافيّة معيّنة، تتمتّع بدرجة من الاستقلال السّياسي وتتكلّم لغة واحدة، تتكوّن القبيلة من مجموعة من العشائر.

6. أوصاف القرابة:

حاول مورغان اظهار المصطلحات المستعملة للقرابة في المجتمعات التي درسها، من خلال عيّنة تتكوّن من 139 حالة واستطاع ان يستنتج نظامين لأوصاف القرابة وهما "التصنيف" و"الوصف".

1.6/ التصنيف:

يشمل القرابة الدّمويّة، وهو يخلط بين الوالدين والأعمام مثلا: اختصار علاقات القرابة البعيدة في عدد قليل من درجات القرابة، فعند الايروكوا Iroquois مثلا

أخ الأب يسمّى أب، وينعت أخ الأمّ بنعت آخر.

وعند Hawaien فأبناء العمومة المتوازية والمتقاطعة يعتبرون إخوة، أمّا عند قبيلة Crow Omaha من يعتبرون إخوة فقط هم أبناء العمومة المتوازية.

ولكن اتفق علماء الأنثروبولوجيا على وضع تصنيفات موحّدة لقراءة ظاهرة القرابة تتمثّل في: أب، أم، ابن، بنت، أخ، أخت، زوج، زوجة وهذه المصطلحات الثمانية كافية لتغطية 3 علاقات قرابة: البنوّة، الأخوّة، التحالف.

كلّ هذه العلاقات يمكن اختصارها في الضّمير هم والفرد الذّي يشكّل المصدر يتمثّل في الضّمير أنا Ego

2.6/ الوصف:

وهو وصف جميع درجات القرابة خارج الأسرة النّوويّة مثلا: العمّ: اخ الأب، وتتضمّن هذه الأنظمة عددا محدّدا من المصطلحات المركّبة مثلا في نظام الاسكيمو او في السّودان تستعمل مثل ما يوجد عليه الحال في المجتمع الفرنسي أي في اللّغة الفرنسيّة مثلا: Arrière-grand-mère, Beau frère والتي تصف الأقارب ودرجاتهم البعيدة "الدرجة الثالثة مثلا".

مخطط درجات القرابة

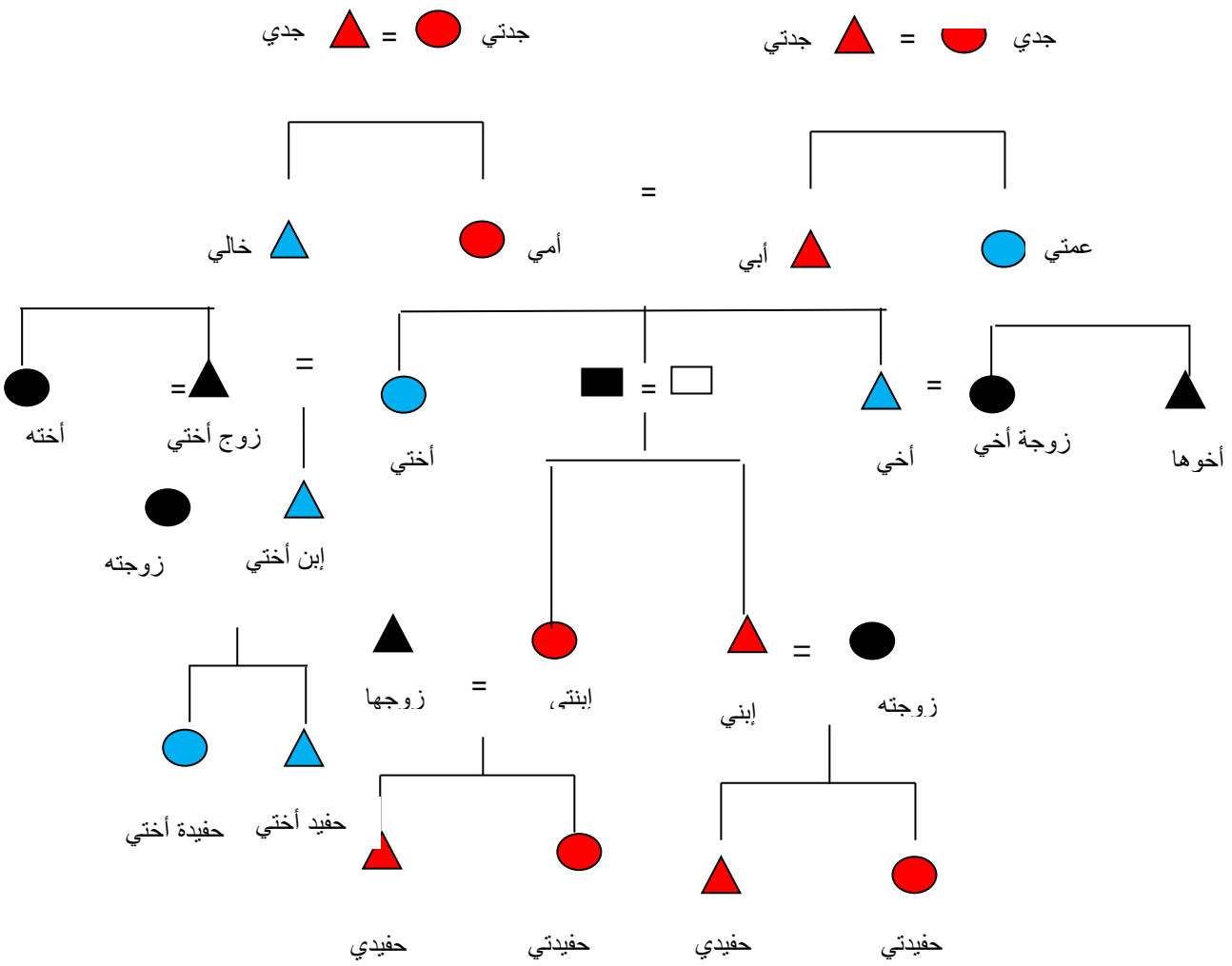

ذكر	المصاهرة
أنثى	الأقرباء المباشرون
فرد بغض النظر عن الجنس (الأنا)	الأقرباء الجانبيون
ينحدر من	
شقيق (علاقة دم)	
= متزوج مع	

من خلال المخطّط السّابق استعمال العديد من الأوصاف المركّبة والتي يبدو أنّها تختلف من ثقافة ومن لغة الى أخرى، لذلك وضع علماء الانثروبولوجيا مواصفات تبدوا موحّدة بين الثقافات واكتفوا باستعمال ثماني مواصفات (أب، أم، ابن، بنت، أخت، أخ، زوج، زوجة) وهذه المواصفات قادرة على تغطية ثلاث علاقات قرابة:(النسب، الاخوّة، التحالف.)

هذا إضافة الى المنظومة القانونية والمؤسسية التي شرعت الزواج المثلي، وبالتالي أصبح النوع الاجتماعي منفصلا عن الجنس بمأن مهمة تربية الأطفال قد توكل الى جنس الذكر أذا كان الجنسان ذكرين، كما ان هذه الأشكال جعلت الإنجاب ينفصل على العلاقات الجنسية ما دام أنه يحدث بمساعدة طبية بعيدا عن العلاقات.

فهذه التغيرات أدت على إعادة تعريف الاسرة، فلم تعد علاقة تحالف بين جنسين مختلفين بل أصبح بين شخصيين مهما كان جنسهما، ويتعلق بالعيش معا، أما الإنجاب فلم يعد يتعلق بالابن الخاص من نفس الدم وانما أصبحت البنوّة غير حقيقيّة وغير بيولوجية، فلم تعد الام هي بالضرورة من تحمل الطفل ولا الاب هو المانح الحقيقي للحيوان المنوي، فهناك أشكال متعددة للأمهات والآباء: المرأة التي تتبرع بالبويضة والتي تحمل والتي يربّي والأب الذي يتبرع بالحيوان المنوي والذي يربّي، هذا إضافة الى وجود زوج الأم في بعض الأسر.

7. القرابة في المجتمعات العربية: نظرية ابن خلدون كنموذج:

لقد حلّل ابن خلدون نظام القرابة في المجتمعات العربية تحليلا وظيفيّا، بيّن من خلاله مكانة ووظائف القرابة في هذه المجتمعات وذلك في علاقتها مع السّلطة السّياسية، فلا أحد يمكنه أخذ الرّياسة أو الملك من دون أهل البيت، أي أنّ شرعية الحكم يحدّدها نظام القرابة.

ومن هنا نجد أنّ ابن خلدون لا يرجع دراسة القرابة أو كما أسماها في مقدّمته "النسب" الى العوامل البيولوجيّة أي الى الانحدار من جدّ مشترك وهي القرابة الدّمويّة لأنّه يعتبر أنّ هذا أمر طبيعيّ، فهو يركّز على ما هو اجتماعي وسياسي بحيث أنّ النسب الذّي لا يحقّق الالتحام أو اللّحمة أو صلة الأرحام فهو وهمي.42

انّ اللّحمة بين النّسب هي أحد أسباب النّعرة أو المناصرة والتّي تشكّل "العصبيّة" وهذه النّواة الأولى لنظام القرابة في المجتمعات العربية هي القياس الذّي يقيس به ابن خلدون هذا النّظام في بيئتين مختلفتين بحيث أنّها تقوى عند البدو وتضعف في الحضر وهذا يرجع الى اختلاط الأنساب في المدن.

وعلى أساس شدّة العصبيّة أو ضعفها فرّق ابن خلدون بين أشكال متعدّدة من القرابة في المجتمعات العربيّة من أهمّها:

---

[42] ابن خلدون، المقدمة، دار الشعب، القاهرة، 1950، ص117

1. **النّسب العام: ويتمثّل في القرابة البعيدة وهو النّسب الذّي تعود أصوله الى قبيلة من القبائل، وهنا يذكر ابن خلدون بأنّ العصبيّة تكون ضعيفة نوعا ما وبالتالي فانّ فرصة الانسان في تحصيل الرّياسة تكون ضعيفة كذلك.**[43]
2. **النسب الخاص: ويتمثّل في جميع الأشخاص الذّين تربطهم صلة دم قريبة جدّا أو الذّين ينحدرون من عشير واحد أو أهل البيت الواحد أو اخوة لأب واحد أو أبناء العمومة الأقربين، هؤلاء تكون فيهم اللّحمة والعصبيّة قويّة وبالتالي فهم أحقّ بالرّياسة التي تنتقل من الآباء الى الأبناء.**[44]
3. **النّسب عن طريق الحلف والولاء أو الفرار: وهو نوع من النّسب الذي ليس له علاقة بالقرابة الدّموية وانّما يحدث إثر ظروف سياسيّة تتعلّق بالولاء مثلا أو إثر ظروف اجتماعيّة كهروب شخص ما من قبيلته أو عشيرته من أجل ذنب اقترفه، ففي كلتا الحالتين ينسب الشخص نسبه الى العشيرة أو القبيلة الجديدة ويظهر فيها ما يظهره القريب من الدّم من أواصر اللّحمة والعصبيّة.**[45]

8. القرابة في المجتمع الجزائري:

تاريخيّا كان المجتمع البربري نظاما قبليّا يتكوّن من مجموعة من العشائر تعتمد في عيشها على نظامي الرّعي والزّراعة، امّا الخلية الأساسيّة التي تتمثّل في الأسرة فحسب الكتابات التاريخيّة كانت عائلة اكناتيّة (Agnatique) وهي تتميّز بنظام أبوي ذكوري تكون فيها

[43] نفس المرجع السابق، ص120

[44] ابن خلدون، نفس المرجع السابق، ص120

[45] نفس المرجع السابق، ص119.

السلطة للذكر كما أنّ نظام الزّواج فيها كان داخليّا أي من أبناء العمومة وذلك لأسباب اقتصاديّو اجتماعية ورمزية.[46]

وعندما تعرّضت الجزائر الى الاستعمار الفرنسي، كان هدف السّياسة الاستيطانية تفريق العشائر والعائلات وزعزعة نظام القرابة والعصبيّة إثر سياسة فرّق تسد ومن أهمّها حرق الأراضي الزّراعيّة والاستلاء عليها وهذا ما أدّى ببعض العائلات الجزائريّة بتغيير مناطق سكنها الرّيفيّة متجهة نحو مناطق أخرى أو الى المدينة، إضافة الى مشاركة المرأة الجزائريّة في الثورة وأحيانا خروجها للعمل للمشاركة في اعالة العائلة.

وبعد الاستقلال عمّق التصنيع الذّي عرفته الجزائر من حدّة النّزوح الرّيفي وكثف من خروج المرأة للعمل، إضافة الى أنّ السكنات التي استفاد بها الجزائريّون بعد الاستقلال كانت قائمة على طبيعة الأسرة الأوروبية التي تعتبر نوويّة بالأساس كلّ هذه العوامل جعلت الأسرة النّووية في المجتمع الجزائري تبرز بشكل بارز، فبدأت تختفي "الدّار الكبيرة" أو "الخيمة الكبيرة" التي تضمّ العائلة الممتدة ساهمت كلّ هذه العوامل في بداية ظهور الأسرة النّووية بشكل بارز.

ومن هنا بدأت تظهر المؤسّسات المفوّضة التي من شأنها مساعدة الأسرة في تنشئة أطفالها ومن أهمّها دور الحضانة، الاّ أنّ بعض الدّراسات السوسيولوجية المعاصرة لازالت تؤكّد الدّور المحوري الذي تقوم به الأسرة الممتدّة في المجتمع الجزائري رغم التفكّك النووي

[46] Helene Claudot- Hawad, La parenté berbère et les théorie de la parenté,in Encyclopédie Berbere, N37, 2015, pp1-22

والتباعد المكاني الاّ أنّ أواصر اللّحمة والتضامن لاتزال قائمة، كما أكّدت دراسات أخرى بأنّ الاسرة الجزائريّة لازالت تحافظ على الأواصر القرابيّة.

9. الاشكال الجديدة للقرابة في المجتمعات الغربية المعاصرة:

انّ القرابة ظاهرة لا تتوقّف عن التحوّل والتغيّر، يرجع ذلك الى التنوع الذي يظهر عليه الزّواج في مختلف المجتمعات والأزمنة على اختلاف الثقافات، وعلى هذا الأساس فانّ القرابة في المجتمعات الغربية الأوروبية منها والأمريكيّة عرفت اختلافات عديدة في نظم القرابة منذ القرن العشرين، فقبل الحرب العالميّة الثانية كان الزّواج في هذه المجتمعات يبدو نظاما ثابت المعالم يشمل التحالف بين شخصين من جنسين مختلفين، يتزوّجان في سنّ مبكرة نوعا ما ويدوم هذا الزّواج طوال الحياة، فلم تكن نسب الطلاق مرتفعة، وكان الاب يملك السّلطة داخل الأسرة على اعتبار أنّه كان العائل وحيد لها فهو يمثّل المصدر الاقتصادي للأسرة مادام أنّه كان ينفرد بالعمل

الاّ أنّه وبعد الحرب العالميّة الثانية حدثت تغيّرات عميقة في المجتمعات الغربية، ومن أهمّها تسارع وتيرة التصنيع وتمكين النّساء على إثر الحركة النّسويّة ماي 1968 ساهمت هذه الأحداث في تحرّر المرأة وخروجها الى العمل.

كما بدأ سنّ الزّواج في التراجع وهذا ما أثّر على سنّ الانجاب وعدد الأطفال في الاسرة الواحدة، كما ارتفعت مستويات الطّلاق وهذا ما أدّى الى ظهور أشكال جديدة من الأسر الأحاديّة التي تتشكّل من الأمّ والأبناء أو من الأب والأبناء، كما ساعدت موجة التحرّر

والحداثة والفردانية من ظهور أشكال أخرى من الأسر منها: الزّواج الحرّ، الانجاب خارج الزّواج.

في حين يرجع موريس غودولييه M. Godelier ظهور الأشكال الجديدة من الأسر ومن القرابة ليس لتصاعد معدّلات الطّلاق فقط وانّما كذلك الى التقدّم الذي أحرزه الطّب ومن أمثلة ذلك: التبرع بالحيوانات المنوية، والبويضات، الحيوانات المنوية المجهولة المصدر، تأجير الارحام[47].....

هذا إضافة الى المنظومة القانونية والمؤسسية التي شرعت الزواج المثلي، وبالتالي أصبح النوع الاجتماعي منفصلا عن الجنس بمأن مهمة تربية الأطفال قد توكل الى جنس الذكر أذا كان الجنسان ذكرين، كما ان هذه الأشكال جعلت الإنجاب ينفصل على العلاقات الجنسية ما دام أنه يحدث بمساعدة طبية بعيدا عن العلاقات.

فهذه التغيرات أدت على إعادة تعريف الاسرة، فلم تعد علاقة تحالف بين جنسين مختلفين بل أصبح بين شخصيين مهما كان جنسهما، ويتعلق بالعيش معا، أما الإنجاب فلم يعد يتعلق بالابن الخاص من نفس الدم وانما أصبحت البنوّة غير حقيقيّة وغير بيولوجية، فلم تعد الام هي بالضرورة من تحمل الطفل ولا الاب هو المانح الحقيقي للحيوان المنوي، فهناك أشكال متعددة للأمهات والآباء: المرأة التي تتبرع بالبويضة والتي

[47] Poittevin, Compte rendu de Maurice Godelier, Métamorphoses de la parenté, in Anthropologie et sociétés, Paris. Ed Fayard, V29, N°2, 2005. p p213-214.

تحمل والتي يربّي والأب الذي يتبرع بالحيوان المنوي والذي يربّي، هذا إضافة الى وجود زوج الأم في بعض الأسر.

قائمة المراجع

I- المراجع باللغة العربية

1- ابن خلدون، المقدمة، دار الشعب، القاهرة، 1950.

2- ايميل دوركايم، الأشكال الأوليّة للحياة الدّينيّة، تر: رندة بعث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019، بيروت

3- بيتر فارب، بنو الانسان، تر: زهير الكرمي، عالم المعرفة، 1983،

4- شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا (انتجليزي، عربي)، ط1 1981،

5- عاطف وصيفي، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ط3 1981، دار النهضة العربية، بيروت، ص13.

6- عيسى شماس، مدخل الى علم الانسان، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2004، دمشق،

7- محمد ابراهيم صالحي، الدّين بوصفه شبكة دلاليّة، مقاربة غيرتز، ترجمة: مصطفى مرضي مجلة انسانيّات، العدد 50، السنة:2010.

II- المراجع باللغة الاجنبية

1- Addi Lahouari, Lionel Obadia, C. Geertz interprétation et culture, Ed des archives contemporains, Paris, 2010, p120.

2- Benedict Ruth, **Patterns of culture**, Ed Routledge, London.1971

3- Claudot- Hawad Helene, « La parenté berbère et les théorie de la parenté',in **Encyclopédie Berbere**, N37, 2015, pp1-22

4- Copans, Jean , Adell, Nicolas , **Introduction à l'ethnologie et à l'anthropologie**, Ed Armand Colin, Paris : 2019.

5- Emilie Martin, **Anthropologie de la parenté**, mémoire d'études supérieures, univ Montréal, Novembre2014.

6- Frazer, J., **Le Rameau d'or**, traduction Lady Frazer, ed : librairie orientaliste, 1923, https://www.scribd.com/document/619706201/Frazer-Le-Rameau-d-or

7- Gagné, Natacha, « Anthropologie et histoire », in **ANTHROPEN**, Université Laval, Canada, 2017

8- Geertz C., **La religion comme système culturel**, Ed Gallimard, 1972.

9- Géraud Marie Odile et al., **Les notions clés de l'ethnologie**, Ed Arman Colin, Paris :2000.

10- Godelier M., **Métamorphoses de la parenté**, Paris :Ed Fayard,2004.

11- Hassan Rachik, L'esprit du terrain, Chapitre33. Islam marocain,de la généralisation chez Geertz,pp525-539.

12- Kluckohn Clyde, **A biographical Memoir**,Ed Copyright, Washington,1958.

13- kottak Conrad Phillip, **Anthropology the exploration of human diversity**, the University of Michigan, North America.

14- Levi Strauss Claude, « Ethnographie, Ethnologie, Anthropologie », in **Anthropologie structurelle**, Plon,1958 -1974 ,411-413.

15- Levi Strauss Claude, **Les structures élémentaires de la parenté**, ed : Mouton de gruyter, 3 ed,2002, New york.

16- Poittevin, ''Compte rendu de Maurice Godelier, Métamorphoses de la parenté'', in **Anthropologie et sociétés,** Paris : Ed Fayard, V29, N°2, 2005

17- Porqueres Enric, ''Parenté et Biotechnologies'', in **journal des anthropologues**, 144-154, 2016 .

18- Pritchard, Evans, **Anthropologie sociale**, Edition électronique, Ed Microsoft Word, 2001

19- Segalen Martine, **Rites et rituels contemporains**, Paris, Ed : Armand Colin, 2017,

20- Sibeud, Emmanuelle, ''Ethnography, ethnology and Africanism'', **The disciplinarisation of French ethnology in the first third of the 20th century .**

21- Streiff Fénort, Jocelyne, « Culturalisme », in **halshs,** https://shs.hal.science/halshs-03503333 , p2.

22- Tchérkerzoff Serge ,Margaret Mead , « la séxualité à la Samoa », in **Openedition journals**, http://journals.openedition.org/enquete/1203 ,date de parution septempre1997.

23- Tolra Philippe, Warnier Jean Pierre, **Ethnologie Anthropologie,** ed PUF, Paris, 1993.

24- Welsch Robert L., Vivanco Luis A,, **Cultural anthropology**, Oxford university Press.https://global.oup.com/us/companion.websites/9780199925728

الفهـــرس

1. التعريف بالمادة **1**

2. تقديم المادّة: **2**

3. محتوى المادّة **3**

1. مقدمة: **4**

I. المحاضرة الاولى: مدخل الى علم الأنثروبولوجيا **7**

1. تمهيد: **8**

2. موضوع الانثروبولوجيا **8**

3. الهدف من دراسة علم الانثروبولوجيا **11**

4. أين نجد عالم الانثروبولوجيا؟ **12**

5. النهج الانثروبولوجي: **13**

II. المحاضرة الثانية: علاقة علم الانثروبولوجيا بالعلوم الأخرى. **15**

1. تمهيد: 16
2. علاقة الانثروبولوجيا بعلم الاجتماع: 17
3. علاقة الانثروبولوجيا بعلم التاريخ: 18
4. علاقة علم الانثروبولوجيا بعلم النفس 19
III. المحاضرة الثالثة : المنهج الاثنوغرافي في الانثروبولوجيا: 22
1. تمهيد: 23
2. تقنيات المنهج الاثنوغرافي: 23
3. الارهاصات الأولى للدّراسات الاثنوغرافية 24
4. الفرق بين الاثنوغرافيا، الاثنولوجيا والانثروبولوجيا 25
IV. المحاضرة الرابعة: الانثروبولوجيا الطبيعيّة 28
1. تمهيد: 29
2. تعريفها وموضوعها: 29
3. الأنثروبولوجيا الطبيعيّة والعلوم المساعدة: 30
1.3 تطوّر الانثروبولوجيا الطبيعيّة: 31
2.3 انثروبولوجيا الأصول البشرية: 32
4. سيناريو التطّوّر البشري حسب النظريّة التطوّرية: 32
5. نماذج من دراسات في التيّار التطوّري: 34

V. المحاضرة الخامسة: الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة 36
1. تعريف الأنثروبولوجيا الاجتماعية: 37
2. مجالات بحث الانثروبولوجيا الاجتماعيّة: 37
3. أصول الانثروبولوجيا الاجتماعية 38
4. تطوّر الانثروبولوجيا الاجتماعيّة 40
5. نماذج من الدّراسات في الانثروبولوجيا الاجتماعيّة 41
VI. المحاضرة السادسة: الأنثروبولوجيا الثقافيّة 46
1. تعريف الأنثروبولوجيا الثقافيّة: 47
2. الثقافة و التثقيف: 47
3. آليّات التغيّر الثقافي: التثاقف 49
4. الانثروبولوجيا الثقافيّة و العلوم المساعدة 50
5. الجذور الأولى للانثروبولوجيا الثقافيّة 51
6. تطوّر الانثروبولوجيا الثقافية: 53
1.6 المدرسة الامريكية: 1910-1915: 53
7. الانثروبولوجيا الثقافويّة 55
1.7 الأنثروبولوجيا الثقافيّة: مدرسة الثقافة والشخصيّة: 55

8. نماذج من دراسات مدرسة الثقافة و الشخصيّة: 56
VII. المحاضرة السابعة: أنثروبولوجيا الدّين 62
1. تمهيد: 63
2. أنثروبولوجيا الدّين: 63
3. موضوع الأنثروبولوجيا الدّينيّة:..... 65
4. مفهوم الدّين انثروبولوجيا:..... 66
5. التأصيل النظري لأصل الدّين في الدّراسات الأنثروبولوجيّة: 67
6. الدّين كظاهرة اجتماعيّة:..... 69
7. التمثّلات الاجتماعيّة للدّين حسب دوركايم:.....70
8. الدّين، الرمز و المنظومة الفكريّة: الطوطم والأسطورة:..... 72
VIII. المحاضرة الثامنة: أنثروبولوجيا القرابة 79
1. تمهيد:.....80
2. الدّراسات الاولى للقرابة: 80
3. مفهوم القرابة:..... 83
4. أنثروبولوجيا الزّواج الخارجي والاسرة:..... 86
5. بعض مصطلحات القرابة:..... 88
6. أوصاف القرابة:..... 90

7. القرابة في المجتمعات العربية: نظرية ابن خلدون كنموذج: 94
8. القرابة في المجتمع الجزائري:..... 95
9. الاشكال الجديدة للقرابة في المجتمعات الغربية المعاصرة:..... 97
قائمة المراجع 99